ريموند ماكغريغور

RAYMOND MCGREGOR

غريب في الظل

STRANGER IN THE SHADOWS

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة الطفل

2

غريب في الظل

STRANGER IN THE SHADOWS

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

ريموند ماكغريغور
RAYMOND MCGREGOR

②
غريب في الظل

STRANGER IN THE SHADOWS

رواية

تعريب

منتدى فايز علمي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
STRANGER IN THE SHADOWS
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
BOOKLAND PRESS INC., 15 Allstate Parkway,
Suite 600, Markham, Ontario L3R 5B4, Canada
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون
Copyright © 2017 by Raymond McGregor
First published in English
by BookLand Press in Canada.
All rights reserved
Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3454-6

تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة
صندوق منحة
معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

جميع الحقوق محفوظة للناشر:
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقـــراء للـــنـــشـــر

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون**

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

إلى ابنتي وابني وأبناء إخوتي

مكتبة الطفل
إحدى قنوات
t.me/book4kid

من المدهش كيف تتغير الأحوال بسرعة، فبعد آن كان آوين وحيداً وضعيفاً وعرضة للتنمر وسخرية معظم الناس، ولم يكن لـه هـدف في الحياة، أصبح مشـهوراً. في الماضي كان يتجاهله الناس، وكأنه شـفاف لا يُرى، ولكن في الآونة الأخيرة، أصبح درعه الأزرق وكأنه منارة للحرية. عندما ارتدى هذا الدرع خلّص القريـة مـن اللـورد كوبينغر الطاغية الشـرير الذي لـم يترك أحداً إلا ونهبـه. والأهـم مـن ذلك، أنه قتل التنين كالوريث بمسـاعدة الأقزام.

لقد عاد الأقزام عندما سـمعوا عن شـاب يعمل مع أوثغار، وهـو آخـر قزم من سـلالة الملـوك، والذي ظل يعيش في الجبال بعدما غادرها الآخرون. درّب أوثغار أوين ليصبح فارساً فخوراً بنفسـه ومـدركاً لقدراتـه، وكان النجاح مـن نصيبهما، حيث أنقذ أويـن والدتـه، فـي حين جمع أوثغار قومـه في موطنهم الحقيقي داخل الجبال، وعقد السلام مع البشر مجدداً.

حـدث كل ذلـك بسـرعة. لـم يعـد أويـن نحيفـاً، أو عرضة للسـخرية، أو التنمر، أو الانتقاد. أضف إلى كل ذلك أنه أصبح

قادراً على القيام بأكثر مما يتوقعه الجميع، ولكن على الرغم من إنجازاته الأخيرة، لم يشعر أوين أنه بطل. «لا يُفترض أن يتأذى الأبطال بهذه الطريقة»، حدّث نفسه متذمراً وهو يقترب من الدرع المعلق على عارضة. كانت الكدمات والحروق تغطي كامل جسده. وعلى الرغم من أن معركته مع التنين كالوريث أصبحت الآن ذكرى، إلا أن صور النار والقشور اللامعة لا تزال تطارده، كما أن جسده لا يزال يؤلمه. في الوقت الذي ينظر فيه الناس إليه بصفته منقذاً، يرى فيه نفسه أنه شخص عادي أُشبع ضرباً، فقد بدا جسده وكأنه حقل من الكدمات الأرجوانية والصفراء المزهرّة.

أمسك أوين قطعة قماش ذهبية اللون مغموسة في دهان أبيض، وقاوم الألم الذي يشعر به في ذراعيه وفرك المعدن. شرع يحرك قطعة القماش في دوائر صغيرة وزاد قطرها حتى طلى مساحة كبيرة من الدرع باللون الأبيض. بعد ذلك، وباستخدام قطعة قماش نظيفة، مسح الدهان، ليكشف عن اللون الأزرق اللامع الذي لطالما فتن الناس عندما خرج أوين وهو يرتديه. لم يكن الناس يعرفون أنه أوين فقد ظنه الجميع أزوريوس.

قال أوثغار وهو يتجه صوب أوين: «الجو حار هنا».

«الحرارة جيدة. فهي تساعد في تخفيف ألمي قليلاً. الطقس يزداد برودة ويبدو أنه يتسبب في شد عضلاتي».

أومأ أوثغار وقال: «بمرور الوقت ستشعر بالتحسن، وما إن تشعر بالتحسن، فعليك أن تعاود التدريب».

تساءل أوين متفاجئاً بتعليق صديقه: «تدريب؟ أي تدريب؟

لقد قتلتُ التنين، وعاد قومك، لماذا عليّ أن أتدرب؟ الجبل مليء بالأقزام. سمعتهم يغنون ليلاً، وعندما أنظر إلى الأسفل، أرى الحياة تدب في القرية والناس سعداء، فلن يزعجهم الملك بعد الآن».

«صحيح، لن يزعجهم الآن، لكنها مسألة وقت فقط قبل أن يفعل ذلك. أخشى أن الحرب قادمة لا محالة يا أوين. وعندما يحدث ذلك، فسيطلب منك كل من البشر والأقزام المساعدة. يجب أن تكون جاهزاً».

«حرب؟ هل جُننت؟».

دنا أوثغار من تلميذه، فلاحظ أوين لحيته البيضاء تهتزّ مع كل خطوة يخطوها، وحدقت عيناه المرهقتان بعمق وتركيز. لقد كان يجمع في شخصيته التناقضات؛ فهو من جهة عجوز لطيف، ومن جهة أخرى جاد، وهذا ما جعل أوين يحترمه كما لم يسبق له أن احترم أحداً: «أوين، أخشى أن الملك الشرير لن يهدأ حتى يستعيد هيبته على كل رعاياه، سواء أكانوا بشراً أو أقزاماً».

«الجميع يكرهونه، وما من أحد يحترمه».

«الكراهية شعور مهم ومؤثر؛ يمكنك أن تكره شخصاً، ولكنك في الوقت نفسه تُجبر على الخضوع لسلطته. تذكر، قبل أن تهب لنجدة القرية، لم يجرؤ أحد على تحدي الملك. لذا، من المنطقي أنه يشعر بالحرج الآن، ولا أشك أنه سيسعى وراء الانتقام».

سأله أوين: «لماذا أنت واثق إلى هذا الحدّ؟». في غضون

ذلك أنزل ذراعيه ليريحهما، وأستدار صوب أوثغار مضيفاً: «هل تحدثت إليه؟».

«كلا، لكنني عشت طويلاً بما يكفي يا صديقي لمعرفة مقدار الشر الذي يختزنه ونوعية هذا الشر. لا يسعى الرجال الذين هم على شاكلة الملك البشري إلا إلى بسط سلطتهم على الآخرين، إنهم يعتقدون أنهم بلغوا المجد بمجرد حصولهم على هذه السلطة، لكنهم يفشلون في إدراك الخواء في قلوبهم، وهذا ما يؤدي إلى كراهية أكبر ومرض يجعلهم يسعون دائماً خلف المزيد من السلطة. امنع عنهم الشيء الوحيد الذي يتوقون إليه، وعلى الأرجح ستجعل رغبتهم أقوى من ذي قبل». تحدث أوثغار بجدية لدرجة أن أوين أحس أن شعر مؤخرة عنقه ينتصب من الانزعاج.

قال أوين مازحاً: «أنت تجعل الأمر يبدو وكأن كل ما فعلناه كان هباءً. لعله من الأفضل أن تحزم أغراضك وتنتقل إلى مكان آخر».

«لا، ما فعلتَه كان ضرورياً جداً. لقد أظهرت للملك الشرير أنه لا يستطيع أن يحكم بهذا الجبروت. ولكن كل ما أقوله هو أن هناك فرصة وأنه سيسعى لرد الصاع وسيأتي للانتقام منك».

«سأنام قرير العين وأنا أعلم ذلك. رباه! شكراً لك يا أوثغار. أنت تعرف بالتأكيد كيف تُبهج رجلاً»، ربت أوين على كتف أوثغار، وضحك بودّ، فتضاعف ألمه مرة أخرى.

«أرى أنك تعمل بجد لتنظيف درعك، أنا واثق أن الإصلاحات

التي قمت بها كافية». أصبحت نبرة أوثغار أكثر هدوءاً عندما غيّر الموضوع.

«أجل شكراً. لا أطيق الانتظار حتى أرتديه مجدداً، آمل ألا يكون هناك مزيد من التنانين لتلحق به الأذى مجدداً، وآمل أيضاً أن تلتئم جروحي وتشفى حروقي». نظر أوين إلى ذراعيه العاريتين وهو يتحدث.

«في الواقع، لقد استخدمتُ كل الحجر اللازوردي، وأشك في أننا سنكون محظوظين بما يكفي للعثور على المزيد منه».

تأوه أوين وقال: «لقد طمأنتني».

«بالحديث عن الاطمئنان، هناك فتاة أريدك أن تقابلها، فهي ستبقى معك وتساعدك على التعافي، ويمكنها أيضاً أن تعلمك بعض الأشياء؛ إنها صائغة خبيرة وتنحدر من عائلة أقزام عريقة. هناك صداقة قديمة تجمع بين عائلتي وعائلة كايا، لقد ترعرعت أنا ووالدها، راغازار غلادومير. أظن سبق لك أن قابلته في اليوم الذي قتلت فيه كالوريث، إنه الشخص الذي سألك عني».

«انتظر لحظة. فتاة؟ ولماذا تريدها أن تتسكع معي؟». شعر أوين بالانزعاج من الفكرة.

«نعم، إنها فتاة، ومع ذلك فهي حكيمة وتمتلك مهارات عالية، لديها الكثير لتعليمك إياه، وأريدك أن تتعلم منها. ستفعل ما أطلبه وتعاملها باحترام. هذا أمر من ملكك. هل كلامي واضح؟». مرة أخرى، استشعر أوين الجدية في كلام أوثغار.

ردّ أوين ساخراً: «حاضر يا مولاي».

مـد أوثغـار يـده وضـرب أوين على رأسـه قائـلاً: «لا تختبر صبـري. أتوقـع منـك أن تخاطبنـي كمـا تُخاطـب الملـوك أمـام الآخرين، فلا أريد أن يعتقد شعبي أنني ضعيف. أما عندما نكون بمفردنا هنا، فلا أمانع بأن تناديني بأوثغار».

«فهمت، ولكن هل كنت أستحق أن تضربني؟ فقد آلمتني»، تأوه أوين.

«لا، لكن كان ذلك ممتعاً»، ابتسم أوثغار ليلطّف الأجواء.

ضحك أوين وقال: «حسناً، لا مشكلة يا مولاي. سأُظهر لك الاحتـرام الـذي يسـتحقه الملوك. في نهايـة المطاف، أنت الذي منحتني لقب فارس، وأنا دائماً في خدمتك. ولكن، إذا ضربتني بهذه الطريقة مرة أخرى، فلا يمكنني ضمان نجاتك من غضبي».

«حقـاً؟»، احتضـن أوثغـار وقهقـه. قـاوم أوين وحرر نفسـه وتظاهر بالاستعداد للقتال. ولكن سرعان ما آلمته عضلاته فتأوه وتخلّى عن حذره. بيد أن هذا أضحك أوثغار أكثر.

«يـا لـه مـن غضـب!»، صـاح أوثغار بسـعادة. «هيـا. لتناول العشاء». أمسك أوثغار بذراع أوين أثناء مغادرتهما.

أثناء مغادرة الصديقين المكان.

2

عندما رفع أوين رأسه وأغمض عينيه، أشرقت الشمس، ودفأت جلده. تنفس بعمق، وترك يديه تتدليان بحرية. لقد أمضى ساعات عديدة وهو يصطاد الأسماك بالطريقة التي علمه إياها أوثغار، والآن، أصبح يأتي إلى هنا في معظم الأحيان ليريح ذهنه. كان يقف بلا حراك، ويصغي إلى ما يحيط به، ويسمح لحرارة الشمس بتدفئة بشرته، فيشعر أحياناً بنبضات قلبه. لقد كان إحساساً مهدئاً يبحث عنه قدر الإمكان.

وقف أوين ساكناً في الوقت الذي زقزقت فيه جوقة من الطيور، ولفحت أشعة الشمس وجهه. بعد لحظات قليلة من التنفس المتناغم، بدأ يتحرك. كانت الرياح خفيفة، لكنها دافئة، فحركت شعر رأسه بلطف. تخيل نفسه يرتدي زي أزوريوس ويتأرجح يميناً ويساراً، ويتحرك بسيفه ودرعه بانسيابية مثلما تعلم. كان يتوق إلى التدريب، وارتداء الدرع، والشعور بأنه يتحول إلى شخص آخر. لقد أضحى الدرع جزءاً منه.

«أحم أحم».

قاطعه صوت عذب وناعم؛ تفاجأ واستدار، فرأى قزمة تقف

خلفه وهي تبتسم، وقفت ووضعت يديها عند خصريها ونظرت إليه بعينيها الداكنتين. كان شعرها البني الطويل مربوطاً. بدت صلبة العود، لكن وجهها ناعم. شعر أوين بالخجل من أفكاره المسبقة. إنها أنثى قزمة، لكنها فائقة الأنوثة.

تلعثم أوين وتصنع الابتسام: «لا بد أنكِ...كايا. أنا...».

قاطعته كايا قائلة: «وأنت أوين. أم تفضّل اسم أزوريوس؟».

لم تبتسم، ورمقته بنظرة صارمة، ذكّرته بأوثغار عندما يكون سيئ المزاج.

قال مرتبكاً: «نادني أوين. أنتِ... هنا للتسكع على ما أعتقد».

«التسكع؟». نطقت كايا الكلمة وكأنها تعرضت لإهانة شديدة وأكملت: «هل هذا ما تعتقد أننا سنفعله معاً؟ التسكع؟».

لم يعرف أوين ماذا يقول: «حسناً. قال أوثغار إنك ستساعدينني على التعافي، وإننا سنقضي الوقت معاً».

قالت كايا: «أجل، هذا صحيح». كان أوين في حيرة من أمره، فلم يعرف حقاً كيف يرد عليها، فسأل: «حسناً، ماذا يجب أن نفعل أولاً؟»، حكّ رأسه، ونظر إلى الأسفل متحاشياً النظر إليها.

ضحكت كايا وقالت: «استرخِ يا صديقي. لماذا أنت متوتر جداً؟».

نظر إليها مجدداً، فرأها بشكل مختلف هذه المرة. ابتسمت بإشراق، ثم أرجعت رأسها وسألته وهي تبتسم: «أنت تتوتر بسهولة، أليس كذلك؟ أنت البطل الذي أنقذ شعبه، وأعاد الأمن

إلى وطن الأقزام، ولا يمكنه حتى التحدث إلى فتاة. يا للعجب، حدثني عن الضعف».

«الضعف؟ مهلاً، كنت أحاول فقط أن أتعامل بأدب، لم أتوقع أن تسير المحادثة على هذا النحو». احمرّ وجه أوين خجلاً؛ لقد شعر بالحرج والارتياح في الوقت نفسه.

«كنت أعبث معك فقط، وقد نجح الأمر». تقدمت كايا، ومدّت يدها كي تصافح أوين، في البداية تردد قبل أن يصافحها مبتسماً.

نظرت إليه – كانت أقصر منه بقدم تقريباً – وبدا الغموض في عينيها الداكنتين، فنظر إليها باهتمام، ولمح غموضاً في عينيها الداكنتين، ووجد أوين نفسه ينظر إليهما باهتمام حتى ابتسمت له. فأفلت يدها، وعاود النظر إلى الماء.

«حسناً، كيف الحال؟ وكيف تشعر وأنت في فترة النقاهة؟».

«أنا بخير، ولكنني أشعر بشيء من الألم. صحيح أن الحروق شفيت، إلا أن عضلاتي لا تزال تؤلمني، ولكنني بشكل عام أتحسن يوماً بعد يوم، أخبرني أوثغار أنك ستساعدينني».

«أجل، لقد أراني المرهم الذي أعطاك إياه، إنه جيد، واظب على استخدامه. لديّ مشروب غني بالعناصر الغذائية سيساعدك في ترميم أنسجة العضلات بسرعة وتخفيف الألم الذي تشعر به في مفاصلك. لقد علمتني جدتي طريقة إعداده عندما كنت صغيرة، وهو فعال جداً، وطعمه لذيذ مثل الفراولة».

«كلام جميل»، توقف أوين للحظة ثم أردف: «أود أن أطرح عليك سؤالاً يا كايا».

«تفضل».

«قال أوثغار إنك تستطيعين تعليمي بعض الأشياء، لكنه لم يقل ما هي، فهل لديكِ فكرة عما كان يشير إليه؟ أعني، كلانا في العمر نفسه تقريباً و...».

«وأنت تعتقد أنه ما من شيء أستطيع أن أعلّمك إياه، أليس كذلك؟».

«أنا...»، شعر أوين بالارتباك ولم يعرف ما يقول؛ فهو لم يرد إهانتها.

«أتفهّم ذلك. سأصحبك في جولة حول المناجم والقلعة وستتعلم المزيد عن الأقزام. عليك أن تفهم من هم الناس الذين يفترض بك أن تمثّلهم وتحميهم».

«أمثّلهم؟ لكن أنا بشريّ».

«أجل، لكنك فارس لدى ملك الأقزام، يجب عليك أن تتعلم طريقة التحدث إليهم واحترامهم، وإذا لم تفعل ذلك بشكل صحيح، فستفقد احترامهم، وبذلك تُظهر أوثغار في موقف ضعيف؛ كثيرة هي الأمور التي لا تعرفها يا أوين. وعلى الرغم مما قد تعتقده، فسأعلمك أيضاً كيفية استخدام درعك الأزرق اللامع بشكل أكثر فعالية».

ابتسم أوين بتكلف: «حقاً؟ لا تفهميني بشكل خاطئ، ولكن...».

«أتقصد أنني فتاة؟»، قاطعته، ورفعت أحد حاجبيها مستنكرة.

تـردد أويـن: «ليـس لأنـك فتـاة، ولكنك من نـوع معين من الفتيات، على ما أعتقد».

«مـا الـذي تقصـده بتعليقك الغبي هذا؟ أي نوع من الفتيات أكون؟».

شعر أوين كما لو أن شخصاً يشد حبلاً حول عنقه. لم يرد إهانتها، لكنه لم يرد في الوقت نفسـه أن يقول إن جمالها آسـر، فقال: «أنتِ سليلة عائلة محترمة، فلم أتوقع أن تعرفي المبارزة، لم يبدُ لي الأمر مألوفاً». فكّر أوين أن أعجوبة أنجته وجعلته يقول ما قاله.

«عـذر لطيـف. سـنرى كـم أنت ذكـي عندما نبـدأ التدريب. الآن، لنعـد إلـى كهـف أوثغـار، ولنلقِ نظرة علـى تلك الجروح. فكلما شفيت أسرع، كلما أنهينا تدريبنا في وقت أقصر».

عندمـا اسـتدارت كايـا، تنهد أوين وهزّ رأسـه متسـائلاً: «ما الذي ورطتُ نفسي فيه هذه المرة؟».

3

تفاجأ أوين عندما رأى والدته تجلس إلى الطاولة وتتحدث إلى أوثغار وراغازار، لكن ما إن دخل أوين وكايا حتى خيّم الصمت على الثلاثة

قال أوين: «مرحباً».

قالت كايا بصوتها اللطيف وهي تنحني تبجيلاً لأوثغار: «سررت برؤيتك يا مولاي». أمسك أوين نفسه قبل أن ينفجر ضاحكاً، ولكنه تذكر أن أوثغار يعامل الآن معاملة الملوك، سيمضي بعض الوقت عليه قبل أن يعتاد الأمر. ثم أضافت: «مرحباً يا أبي»، قالت كايا هذا وانحنت قليلاً لراغازار، وأضافت: «لا بد أنكِ ستيفاني. سررتُ بلقائك».

نهضت ستيفاني عن كرسيها وصافحت يد القزمة قائلة: «أخيراً أتيحت لي فرصة لقائك يا كايا. لقد أخبرني الملك أوثغار ووالدك كثيراً من الأشياء الرائعة عنك، إنني أتطلع إلى قضاء المزيد من الوقت معك والتعرف إليك».

جال أوين بعينيه في أرجاء الغرفة، وبدا مندهشاً. هل هذا يحدث حقاً؟ لماذا يتصرف الجميع بغرابة شديدة؟

«أجل، حسناً...»، قاطع أوين ما يجري، محاولاً إعادة الأجواء إلى طبيعتها: «من الجيد رؤيتك مجدداً يا راغازار. كيف كان انتقالك إلى الجبال؟».

أمعن راغازار النظر إلى أوين بعينيه الضيقتين، كما لو كان يحكم عليه بطريقة ما وقال: «لقد مضى وقت طويل منذ أن تمكنت عائلاتنا من العيش بسلام في الأماكن التي نحتها أجدادنا، وحفروا قصصهم على جدرانها. إننا نعود تدريجياً إلى جذورنا، ونحاول استعادة نمط الحياة نفسه الذي عاش وفقه أسلافنا، سيستغرق الأمر بعض الوقت والتغييرات، لكننا نسير على الطريق الصحيح. نحن مدينون لك بالكثير، لقد عاث كالوريث خراباً بيننا، والآن بعد أن دُحر يمكننا إعادة إحياء علاقاتنا الماضية؛ أنت بطل يا أوين».

مرة أخرى، احمرّ وجه أوين خجلاً، وخانته الكلمات، فلم يعرف ما هو الردّ الأمثل. فابتسم وقال: «أنا سعيد لأنني استطعت المساعدة». كان العثور على الكلمات المناسبة البليغة أمراً صعباً.

«صحيح». نظر راغازار إلى أوين نظرة ثاقبة؛ هناك شيء لا يروق لي في هذا الرجل.

«الآن يا أوثغار، سنتحدث بشأن إقامتك، بما أنك في منزلك، فكّر في الإقامة في الغرفة التي خصصت قبل سنوات لجدك، فمن الصواب أن يعيش الملك بين شعبه، لا في كهف صغير مثل هذا».

«أقدر اهتمامك يا راغازار، ولكن يصعب عليّ الانتقال

فـي الوقـت الحالـي. يجـب أن تفهم أنني كنت منبـوذاً ذات يوم وعشت هنا وحدي، أُفضّل أن أعتاد بشكل تدريجي على العيش مـع الآخريـن، فآخـر ما يحتاج إليه شـعبنا، هو وجه جديد يتولى أمر حكمهم».

«أتفهم موقفك يا مولاي. ولكن، أنت الملك، ويفترض بك أن تجلس على العرش، وأن تتولى أمر الحكم كما فعل أسلافك، أضـف إلـى ذلك...»، جال راغازار بعينيه في أرجاء منزل أوثغار وقال: «لا يصلح منزلك ليكون مقر إقامة ملك».

قاطعه أوين: «مهلاً، أنا أحب هذا المكان. إنه جميل جداً... بالنظر إلى كونه كهفاً».

«لعلـك أيهـا الشـاب قاتل التنين لم تـرَ القلعة داخل الجبل، عندمـا تعتـاد عينـاك على الجمال والدقة المتقنة التي نفتخر نحن الأقزام بإبداعها، فسـترى أن مسـتوى هذا المنزل دون مستوى ما نرغب أن يقيم فيه ملوكنا. لا أشك في أنه أدى الغرض عندما كنا منفيين، لكن أما وقد عاد الأقزام الآن، فقد حان الوقت لاستعادة ما هو لنا بكل احترام».

«سـأفكر في توجيهاتك يا راغازار، فحكمتك موضع تقدير دومـاً. لقـد عشـتُ بمفـردي طويلاً، وقد أنسـتني الوحـدة أهمية المجلـس. أمـا الآن، فأنـا أرغب في زيـارة القلعة والاطلاع على مدى تقدم الآخرين. هلّا تكرمت عليّ ورافقتني؟ ربما ستخفف معرفتك بالأقزام الآخرين من توترهم حيالي». نهض أوثغار عن كرسيه وهو يتحدث.

«كما تشاء يا مولاي». نهض راغازار، وانحنى لملكه مردفاً: «المعذرة يا ستيفاني. آمل أن يكون لدينا الوقت للدردشة مرة أخرى قريباً». انحنى راغازار لوالدة أوين قائلاً: «سأراكِ في المنزل لاحقاً يا كايا».

ابتسمت كايا بلطف قائلة: «أجل يا أبي».

قال راغازار: «أوين»، وأومأ برأسه، وحدق إلى الفتى للمرة الأخيرة.

فردّ أوين ببلاهة: «وداعاً».

عندما غادر القزمان الأكبران مسكن أوثغار، شرعت كايا تعمل خلف أوين الذي كان يجلس على الجانب الآخر من والدته وقال: «حسناً، هل نزلتِ إلى القرية اليوم؟».

«أجل. ويجب أن تنزل أنت أيضاً وتحيي الأهالي يا بني، القرويون فخورون جداً بك، لقد استوقفوني جميعاً، وسألوني عن أحوالك، ولماذا لم تأتِ لزيارتهم، فأخبرتهم أنك تمضي فترة نقاهة، وستأتي إليهم بمجرد أن تتحسن».

«جيد، سأفعل. ربما سأتجول في الجبل غداً. هل فكرت في إعادة بناء مسكننا؟».

«أجل، لقد كنت أتحدث وأوثغار بشأن ترتيبات إقامتنا، بما أن مسكننا قد دُمر، يرغب أوثغار أن نعيش هنا في كهفه. لقد أخبرني أن هذه طريقته في شكرنا لأننا آنسنا وحدته، وقال أيضاً إنه إذا انتقل للعيش في القلعة في النهاية، فسيصبح هذا ملكاً لنا».

سألها أوين: «حقاً؟ ما رأيكِ في ذلك؟».

«لا أدري يا أوين، أشعر براحة شديدة هنا، لكنه ليس ملكنا حقاً، لقد فعل أوثغار الكثير ليبقينا معاً، ولا أعرف إن كان يجدر بي قبول هديته».

نسي أوين أن كايا موجودة في الغرفة حتى جلست إلى جانبه، وقدمت له كوباً دافئاً فيه سائل لونه بني مصفر وقالت: «تفضل، اشرب هذا، إنه دافئ وسيشعرك بالتحسن».

قال أوين: «شكراً». في البداية، كان سيعلّق على شكل المشروب، لكنه تراجع عندما تذكر مدى روعة مذاق طعام أوثغار على الرغم من شكله.

«لعله ليس من شأني يا ستيفاني، ولكن هل يمكنني أن أدلي بدلوي في هذا الصدد؟».

«بالطبع يا كايا»، أشارت ستيفاني بيدها ترحيباً بجلوس كايا وإبداء رأيها.

«حسناً، قلت إنكِ عندما ذهبت إلى القرية، استوقفكِ الناس ليتحدثوا إليك، وسيستمر هذا الأمر لمدة طويلة جداً. إنهم يقدرون أوين كثيراً وسيريدون التحدث إليه دائماً. ومع أن هذا تعبير رائع عن الحب والتقدير، إلا أنه يحول دون قيام أوين بتدريباته اليومية، وإنجاز واجباته كفارس. هنا، ستكونان معاً وسيكون الأمر أكثر أماناً. وحسبما أظن، فلا يزال الملك الشرير يتربص بك، لا تنسي أنه سبق له أن اختطفك. لن يستطيع الوصول إليك هنا، خاصة أنه يعرف أنك بحماية الأقزام المستعدين للدفاع عنك بكل ما لديهم من قوة».

فكّرت ستيفاني للحظات، ثم مدت يديها عبر الطاولة الجميلة، واحتضنت يدي كايا بيديها قائلة: «أنتِ حكيمة جداً بالنسبة إلى فتاة يافعة بمثل سنك يا كايا. حجتك قوية، وأعتقد أن أوين سيستفيد من الوقت الذي سيمضيه معك».

«شكراً لك يا ستيفاني».

تدخل أوين: «مهلاً، لماذا يقول الجميع أشياء من هذا القبيل؟ هل ثمة خطب بي؟».

ضحكت كايا قائلة: «أنت جلف بعض الشيء، لكنني أعتقد أنك قابل للإصلاح». ثم غيّرت الموضوع وسألته: «ما رأيك في المشروب؟».

«إنه جيد. طعمه مثل طعم الفراولة كما أخبرتني، علماً أن لونه لا يوحي بمذاقه، ويبدو أنه سريع المفعول، فقد بدأت أشعر أنني أفضل حالاً. في الحقيقة، أشعر بالرغبة في التحرك، وبطاقة لم أشعر بها منذ مدة».

«ممتاز، ربما يمكننا البدء في التدريب. هيا بنا»، نهضت كايا واستعدت للمغادرة.

ضحك أوين وقال: «كم أنت متحمسة؟!».

همست له كايا: «ليس لديك أدنى فكرة».

4

«قبل أن نبدأ، يجب أن تتمطط»، بدأت كايا تتمطط، وضعت السيف الخشبي الذي جلبته من ورشة الحدادة بالقرب من قدميها.

«أتمطط؟ لماذا؟ حسبتكِ تريدين أن نبدأ التدريب».

تنهدت كايا بصوت عالٍ وقالت: «تمطط فقط، فتمارين التمطط هي جزء من تدريبك، أضف إلى ذلك أنه مضى عليك وقت لم تستخدم فيه عضلاتك، سيؤدي ذلك إلى إرخائها ويخفف من الألم الذي ستشعر به عندما تتحرك».

قال أوين ساخراً: «كما تشائين».

قلّد أوين حركات كايا، لكنه وجد نفسه يركّز أكثر على جسدها الرشيق ووجهها الرقيق أكثر مما يحاول التمطط. للمرة الأولى، لاحظ بنية كايا العضلية، فقد كانت كتفاها رغم ضآلتهما، منتفختين، وكانت عضلات ذراعيها بارزة، عندها أدرك أوين أنها تمضي وقتاً طويلاً في التمرين.

عندما حاول تجنب التحديق إلى محاسنها، اعتقد أنه لاحظ حركة ما في الأدغال خلفها. فتوقف ونهض.

سألته وهي تنظر إليه محتارة: «هل كل شي على ما يرام؟».

«أجل، ظننت أنني رأيت شيئاً يتحرك خلفك في الأدغال. لا بد أن الرياح حرّكت بعض الأغصان».

زمجرت كايا: «هل تتوقع مني أن أصدق أنك كنت تنظر خلفي وليس إليّ؟».

شعر أوين بالحرج وقال: «ماذا؟ لا تغتري بنفسكِ».

ضحكت كايا: «لستُ مضطرة إلى ذلك، فعيناك تجعلانني أغتر».

تذمر أوين وقال: «هيا أمسكي السيف حتى نبدأ».

«كما يحلو لك يا قاتل التنين، ولكن لا تجهد نفسك، فقد مضى وقت طويل على آخر مرة بذلت فيها مجهوداً».

شعر أوين أنها تنتقص من شأنه بقولها هذا، فقال: «لا تقلقي، لا أعتقد أن منازلة فتاة ستجهدني».

«أرني ما لديك يا بطل».

وقفت كايا مستعدة، كانت قدمها اليسرى أمام جسدها والسيف الخشبي يتدلى من يدها اليمنى، وقد ثنت ركبتيها ناظرة إلى أوين بجدية.

قال بغطرسة: «سنستمتع، وسأحاول ألا أؤذيك». اندفع شاهراً سيفه، فما كان من كايا إلّا أن لوّحت بسيفها غريزياً، ثم أمسكت بذراعه، ولوتها، وجذبته نحوها، ووضعت نصل سيفها على نحره، عندها أدرك ما تتمتع به من قوة ومهارة قتالية.

كان وجه كايا قريباً من وجهه، لقد كشفت ابتسامتها مقدار

فرحها. حاول أوين الإفلات من قبضتها، لكنه لم يجد إلى ذلك سبيلاً.

«حسناً، لا بأس. لقد حالفكِ الحظ. أشك في أنه يمكنك فعل ذلك مرة أخرى»، حاول أن يبدو أكثر ثقة مما يشعر به.

«بالتأكيد، دعني أريك».

أفلتتْ ذراعه، ودفعته بعيداً عنها، فتفاجأ مجدداً من قوتها.

هذه المرة، رفع سيفه وهاجمها، ثم هوى به بكل ما أوتي من قوة، عندها رفعتْ سيفها وتصدت له، ثم هاجمته، فوجد صعوبة في تفادي طعنة في كتفه اليسرى.

كان القتال بينهما سجالاً، وعندما كان السيفان الخشبيان يتضاربان ببعضهما، كان يصدر عنهما صوت قوي، شعر أوين بالتعب يغزو عضلاته، لكنه أبى الاستسلام للقزمة القوية. لقد كانت محقة، فبخلافها لم يكن معتاداً على مثل هذا التمرين. ناورتْ بجسدها يميناً ويساراً، فلم تصب ضربات أوين سوى الهواء. بدا غاضباً بعد أن نال منه التعب، لكنه ما انفك يهاجمها، إلّا أنها لم تجد صعوبة في تفادي ضرباته.

بدا أن قدميها بالكاد تلامسان الأرض، وكأنها ترفرف حوله مثل الفراشة. ضحكتْ وضربتْ بالجزء المسطح من نصلها بطنه وكتفيه.

أخيراً، عندما لاحظت أنه أصبح بطيئاً، وسمعتْ لهاثه، سمحتْ له أن ينال منها، أرجح أوين السيف بزاوية عند ظهر يده، وتظاهرت أنها ستصد الهجوم، لكنها تركت الخشب يصطدم

بكتفها اليسرى كما فعلت به مرات عديدة.

صرخت: «آه»، وتراجعت مبتعدة عن أوين.

تحول وجه أوين الغاضب إلى قلق، فأسقط سيفه من يديه وركض إليها صارخاً: «هل أنتِ بخير؟».

عندما دنا منها، استدارت ولكمتْ صدره، في الوقت الذي وضعت فيه قدمها خلف قدمه اليسرى. لكمتها القوية أطاحت به أرضاً، فاستلقى على ظهره، عندها قفزتْ، وجثتْ فوق بطنه، ووضعت نصل سيفها الخشبي عند حنجرته.

«لا أستطيع أن أصدق أنك وقعت في فخ فتاة، أنت ضعيف هل تعرف ذلك؟».

صرخ أوين قائلاً: «ابتعدي عني. هذا ليس منصفاً». ثم حاول النهوض، لكنه لم يستطع.

«لو كانت هذه معركة حقيقية، لشققتُ حنجرتك، لقد استسلمتَ بسهولة شديدة».

«أجل، لكن هذه ليست معركة حقيقية. في الحقيقة، لم يسبق لي أن قاتلت فتاة».

«ما الفرق إذا كنتُ فتاة أم لا؟ إذا هاجمتك بسيف، ألا يُشعرك ذلك بأنني جادة؟».

«بالطبع، لكنني لم أعتقد أنه يجدر بي ضرب فتاة. هذا خطأ».

نهضتْ مادّةً يدها لتساعده على النهوض، فقبل على مضض؛ كان جسده يؤلمه، كما لو أن المشروب الذي تناوله في وقت سابق استنفد تأثيره.

«أنت نبيل يا أوين. أستطيع أن أرى ذلك، لكنك تفتقر إلى التركيز، ويسهل تشتيت انتباهك، وعندما تغضب، تفتقد لوضوح الرؤية».

تنهد أوين: «أدري. لقد علمني أوثغار ذلك منذ زمن طويل. أنا فقط...».

«ماذا؟».

«لا عليكِ، هذا محرج».

«سأبقى معك لفترة طويلة يا أوين، ولا بد أن نثق ببعضنا. لا بأس، فكل ما ستقوله لي سيبقى سراً بيننا».

شعر بالاطمئنان عندما نظر إلى عينيها، فقد أشعره شيء ما في وجهها أنها صادقة، وأنها تريد له الخير وليس الشر. «في الماضي، كنتُ محط سخرية الجميع، الفتيان والفتيات وحتى الكبار، عندما بدأتِ تضربينني، وتضحكين عليّ، وتقذفينني جانباً... استرجعت ما كنت أشعر به عندما كنت محط سخرية، ظننت أنني تجاوزت الأمر بعد أن قتلت التنين، وأنقذت الناس. يا لها من مشاعر بغيضة!». مرة أخرى، احمرّ أوين خجلاً.

«في الحياة نقول كلمات ونسمع عبارات، ونقدم على أفعال وتنعكس علينا أفعال الآخرين. كلنا نخطئ ونصيب، وما من أحد معصوماً عن الخطأ. لذا، علينا أن نتعلم تجاوز الألم ونسيان الإساءات، والبحث عن الخير لنجد السند. من الصعب نسيان الإساءات، ولكن من الأفضل أن تكون دافعاً لنا لنمضي قدماً

ونحقق ذواتنا، بحيث لا يستطع أحداً أن يسبب لنا الألم. هل تفهمني؟».

«أجل، أعتقد أن الأمر يشبه ما قاله لي أوثغار بأن أسامح أهل القرية، وأُظهر لهم أنني أفضل من ذلك. لقد علمني أن أساعدهم، وأظهر لهم أنني شخص مسؤول، فذلك سيساعد في رأب الصدع في علاقتي بهم. لذا، تقولين إنني بحاجة إلى السماح لنفسي بقبول الأخطاء التي ارتكبتها أيضاً، وأغفر للآخرين لأنهم جعلوني أشعر بأنني بلا قيمة. بمجرد أن أعرف من أنا، فسأرتاح، وسأشعر بالسعادة، وسأمضي قدماً».

نظرت كايا إلى أوين بإعجاب هذه المرة وقالت: «الآن عرفت لماذا وثق بك أوين»، وأردفت مازحة: «أنت أذكى مما تبدو عليه».

«مهلاً، ما الذي تقصدينه بقولك هذا؟».

ضحكت كايا: «لا تهتم، لنعد إلى المنزل، وسأُحضّر لك كوباً من المشروب الذي أحببته. أشعر أنك تحتاج إليه».

قبِل أوين الهزيمة على مضض، وعاد بصحبة كايا إلى الكهف. فجأة، قبل عبوره المدخل الحجري، استدار، ومرة أخرى شاهد حركة من زاوية عينه؛ تحرك شيء في الظلال، وترك الأغصان تتأرجح خلفه.

5

امتثالاً لنصيحة والدته، شق أوين طريقه إلى القرية، وكما كان متوقعاً، طارده كل من قابله. كان الترحيب حاراً للغاية، وحرص أوين على قضاء بعض الوقت مع كل شخص. خلال جولته، التقى بالعديد من الأقزام أيضاً، وبدا سعيداً عندما رأى الجنسين يعملان معاً بانسجام.

قرر أوين الانضمام إلى العمال، وبعد أن دق المسمار الأخير الذي ثبت به لوح الشرفة قال لتوم: «يبدو منزلك رائعاً».

لقد دهش من التبدل الكبير الذي طرأ على حالة المنازل، فهي أروع بكثير من السابق، فالأقزام بارعون بشتى أنواع الحرف اليدوية، وشعروا بسعادة كبيرة عندما كان يطلب منهم أي شخص أن يعلّموه.

لم يكتفِ أوين بذلك، بل ساعد في عملية البناء أيضاً. شعر بالارتياح للخروج إلى الشمس، وبذل مجهوداً بدنياً مرة أخرى. فقد ارتاح بعد أن شرب مشروب كايا، ودهن مرهم أوثغار، لقد شعر برغبة في القيام بأي شيء، وكان هذا تغييراً رائعاً. إنها المرة الأولى التي يُستقبل فيها بالترحاب في القرية. لم يشغل باله سوى

الشخص الذي تلصص عليه بالأمس عندما كان برفقة كايا، فقد شعر بالقلق لأنه أحس أن أحدهم يتربص به الآن.

«هذا رائع يا أوين. أصبح لدي نافذ متحركة، وهذا ما يتيح لي بيع مخبوزاتي مباشرة من المنزل، وهذا ما يسهل العمل على رجل عجوز مثلي». بدا توم فرحاً وهو ينظر إلى منزله الجديد.

«حسناً، لقد خسرتم جميعاً الكثير عندما هاجمكم التنين، أنتم تستحقون الأفضل، أرى أن مساعدة الأقزام تلقى ترحيباً».

«لكي أكون صادقاً معك، ففي البداية، لم أكن متحمساً للفكرة. أعني، لقد سمعت قصص الماضي التي تدور حول غضبهم ورائحتهم الكريهة، ولكن بمجرد أن تعرفت إليهم، تبيّن أنهم ليسوا بهذا السوء، لقد أظهروا بعض التحفظ في البداية، لكنهم ممتنون جداً لما فعلته»؛ غمزه توم.

«لقد هزمنا التنين معاً، فمن دون دعمكم وجهودكم ما كان الأمر لينجح، لقد كان هذا جهداً مشتركاً، ما كنت أتخيل كم نستطيع أن ننجز عندما نعمل معاً، انظر حولك، لم يسبق لي أن رأيت القرية أفضل مما هي عليه الآن».

«صحيح. أريد أن أخبرك بما فكرت به لبعض الوقت»، شق توم طريقه وهو يعرج، ووقف قبالة أوين، ثم وضع يده الضعيفة على كتف الشاب وأردف: «قبل أن أعرف أنك الفارس الأزرق، كنت آه... حسناً...».

«لا بأس يا توم. لا تقل شيئاً». حاول أوين أن يطمئنه، فهو

يعلم كم هو صعب على رجل عجوز أن يقول هذا.

«لا يا أوين. لقد كنتُ لئيماً و...».

«من فضلك يا توم، أنا أعني ما قلته، لا تقل شيئاً، لقد ولى الماضي إلى غير رجعة، دعنا الآن نمضِ قدماً».

«ولكن، حتى الآن، بعد كل ما اقترفته بحقك، ها أنت تساعدني في إعادة بناء منزلي، شكراً لك يا بنيّ، أقولها بكل صدق».

«أدري يا توم. لم أكن دائماً أسهل شخص يمكن التعامل معه أيضاً، أعتقد أننا جميعاً تعلمنا شيئاً عن أنفسنا، فأنا سعيد لأنني أستطيع المساعدة. عليّ أن أذهب الآن، حان وقت العشاء، وأنت تعرف أمي، فهي لا تحب الانتظار».

أومأ توم، وشكر أوين مجدداً. استدار أوين وصرخ: «بالمناسبة يا توم، تلك الفطيرة كانت رائعة حقاً».

«سآتيك بأخرى بمجرد الانتهاء من منزلي. مرّ عليّ في أي وقت، وسيكون لديّ واحدة لك لتأخذها إلى والدتك وصديقتك القزمة»، نادى توم مرة أخرى وهو يلوح بذراعيه الشبيهتين بالعصوين.

«صديقة قزمة. يجب أن تخجل من نفسك يا أزوريوس».

وقفت فتاة خلف أوين، لكنه لم يميز صوتها، وعندما استدار ليرى من تكون، وقف متجمداً وسألها: «من أنتِ؟».

«أنت لا تعرفني، لكنني أعرف كل شيء عنك يا أزوريوس»، قالت الفتاة ساخرة، وكأن نطق الاسم يؤذي لسانها.

وقف أوين وجهاً لوجه مع الفتاة التي تكبره ببضع سنوات؛ انسدل شعرها البنيّ الطويل ملامساً كتفيها، وعندما نظرت إليه بعينيها ذات اللون الأخضر الفاتح، بدت مبتهجة.

قال لها بنبرة اتهام: «أنتِ من كان يراقبني».

«نعم، وبذلك عرفت أنك خائن مثير للشفقة، لقد تركت تلك الفتاة القزمة الصغيرة تركلك مثل كرة. كيف تقيم علاقات مع الأقزام وتجلب العار لملكك».

«مهلاً، لا أعرف ملكاً لي سوى أوثغار، فهو من جعلني فارساً، وهو من وحّد الأقزام والبشر».

«لهذا السبب أنت فاشل، ويجب التصرف معك». ضاقت عينا الفتاة، وأرجعت كتفيها ببطء إلى الوراء وكأنها حيوان كبير على وشك مهاجمة فريسته.

سألها أوين ساخراً: «فاشل؟ من أنتِ على أي حال؟ وإلى أي ملك تشيرين؟».

«أنت لست حاذقاً يا أزوريوس، الملك الوحيد هو الذي يعيش في مكان شاهق وينظر إلينا الآن، ويراقب كل تحركاتك. هل تعتقد أنه انتهى؟ هل تعتقد أنه سيرحل؟».

شعر أوين بغصة في حلقه، ففي الآونة الأخيرة، نسي أمر الملك الشرير، فكل الناس مشغولون جداً باستعادة حياتهم وتعلم العمل الجماعي. فبعد أن قُضي على التنين، لم يسمع أحد عن الملك. نظر أوين إلى القلعة التي ترتفع فوق القرية؛ فسرت قشعريرة في جسده. هل يراقبني الآن؟ تساءل أوين.

ضحكت الفتاة لتلفت انتباه أوين إليها: «إنني أرى الخوف في عينيك. هذا جيد، يجب أن تخاف. فليس لديك فكرة عما يُخططه لك».

بدا القلق على أوين، كان عدد كبير من القرويين يستمعون إلى الفتاة ويراقبون أوين، وهذا ما فاقم قلقه. قال: «لقد اكتفيت من أكاذيبك، أنا لا أعرفك، ولا أعرف ماذا تريدين مني».

«صحيح، أنت لا تعرفني، ولكنك ستعرف ماذا أريد منك، أنا إلسا ولديّ عرض لك. فهل تريد أن تسمعه؟». ثمة شيء ما بخصوص هذه الفتاة، شيء مألوف للغاية، لكنه لم يستطع تحديده.

«لا، أريدك أن تغادري. أنتِ تقلقين هدوءنا. ارحلي. فليس لديّ وقت لهذا».

لوّح أوين بيده للفتاة، وهو يشعر بالخوف، لكنه لم يعرف السبب. وفي الوقت الذي كان يوليها ظهره، شعر بأن أحدهم يمسك به من كتفه، وبسرعة سُحب جسده إلى الخلف، وسقط أرضاً بعنف، وعندما نظر إلى الأعلى رأى إلسا تقف فوقه، فتأوه القرويون عندما رأوا السهولة التي طرحت بها بطلهم أرضاً.

ضحكت إلسا قائلة: «صدقني، لا أعرف ما الذي يعجبه بك، يريد منك الملك أن تأتي معي، فهو يعرض عليك التكفير عن خطاياك، يمكنك ترك الأقزام والالتحاق بجيش حقيقي، جيش بشري حيث سأعيد وإياك الاحترام إلى البشر، هذا عرض لمرة واحدة».

نهض أوين وهو يشعر بالألم في ظهره، لكنه رفض إظهار ذلك. نفض الغبار، وحدق إلى إلسا مباشرة؛ لم يكن يفصل بينهما سوى مسافة قصيرة؛ فسألها: «الاحترام؟»، ثم ابتسم محاولاً أن يبدو واثقاً من نفسه وأضاف: «اسمعي يا إلسا. أليس هذا اسمك؟ إذا كنتِ تعتقدين أن سرقة وإيذاء الأبرياء فعلان يعكسان الاحترام، فأنت لستِ أفضل منه. إنه ليس ملكاً. إنه مُنتحل صفة، فالملك الحقيقي يعرف ما هو الأفضل للجميع، بشراً...»، نظر حوله إلى الحشد وابتسم مضيفاً: «أو أقزاماً. إذا كنتِ تعيشين هنا، فأنت مهمة. أما ملكك فلا يهتم إلا بنفسه فقط. أخبريه إنني أرفض أن يأمرني شخص غبي لا يتمتع بشجاعة الرجال لكي ينزل إلى هنا ويتحدث إليّ شخصياً». اكتسب أوين الثقة، وبدأ صوته يرتفع حتى يتمكن الحشد من سماعه بوضوح. بدأ القرويون يبدون موافقة على ما قاله أوين. ثم أكمل: «أخبريه أنه من الأفضل له أن يغادر هذه الأرض. لا نريده هنا بعد الآن».

هتف الحشد بصخب، فابتسم أوين ونظر إلى إلسا، وعلى الرغم من الألم في ظهره، شعر بالانتصار، وبأن أحداً لا يمكنه إيقافه.

«يؤسفني أن يكون هذا قرارك يا أزوريوس، سأخبر الملك أنك ترفض عرضه»، دارت إلسا حول نفسها حتى يراها الجميع؛ حان وقت الاستماع إليها؛ فقالت: «أجل يا أزوريوس، سأخبر الملك الحقيقي لهذه الأراضي عن وقاحتك، وتذكر أنك ستكون

أنـت المسـؤول عـن الذعـر الذي سيشـعر بـه هـؤلاء القرويون، وعندها، ماذا ستفعل أيها البطل؟».

ابتعدت إلسا في الوقت الذي كان فيه أوين يهز رأسه، فقال همساً: «حسناً، كان هذا مثيراً للاهتمام».

6

«إلسا؟».

«هـذا مـا قالتـه. لم يسـبق لـي أن رأيتها». ارتشـف أوين من مشروب كايا الذي أصبح معتاداً عليه، وسرعان ما أصبح المفضل لديه.

«حسناً، كنت محقاً، كان هناك شخص يراقبنا في ذلك اليوم».

«يبدو ذلك»، حرّك أوين قائمتي الكرسي الذي يجلس عليه، لقد أنهكه العمل في القرية، لكنه شـعر بتحسـن كبير بعد أن عاد إلـى المنـزل وجلـس مع والدتـه وكايا. انتاب الفضول سـتيفاني بشأن يوم أوين، لكنها التزمت الصمت تماماً عندما تحدث أوين عن لقائه بهذه الفتاة الغريبة.

«هل رأيتها عندما اختُطِفتِ يا أمي؟».

أسرعت ستيفاني بالقول: «ماذا؟ لا».

نظرت كايا إلى ستيفاني بتساؤل، لكن ستيفاني بدت غارقة في تفكير عميق.

فكّـر أويـن بصوت عـالٍ: «هذا غريب جداً. لقد تعاملت مع اللورد كوبينغر والمئات من أتباع الملك، ولكنني لم أقابله هو أو

هذه الفتاة إلسا شخصياً. يبدو أنه ليس لديّ أي فكرة عما يحدث في تلك القلعة رغم مرور كل هذا الوقت. لدي أسئلة تحتاج إلى من يُجيب عنها، عليّ أن أتحدث إلى أوثغار».

«ارتح اليوم، سأبرحك ضرباً في الغد، هناك تدريبات أخرى يفترض بنا القيام بها».

قاطع أوين ضحك كايا قائلاً: «اسمعي، لقد حالفك الحظ بالأمس. وما زلت أتعافى. لستِ بارعة كما تظنين».

قالت كايا بحزن: «في الواقع، يبدو أنك تصف نفسك. أنا واثقة أنك قادر على احتمال الضرب عندما ترتدي بذلتك ودرعك، لكنك لا تكون بالقوة نفسها من دونهما».

تنهد أوين بصوت عالٍ وقال: «إنني أفضل تدريب أوثغار على تدريبك».

«حسناً، أصبح أوثغار ملكاً، ولم يعد لديه وقت يخصصه لتدريبك. أضف إلى ذلك، إنه كبير في السن. وأنا أسرع بكثير».

«هل تصدقين ما تقوله هذه الفتاة يا أمي؟»، لم تبارح ستيفاني المكان الذي كانت تجلس فيه، وبدا أنها شاردة الذهن، ولا تعي ما يجري أمامها، فسألها أوين: «أمي، هل كل شيء على ما يرام؟».

«ماذا؟ آسفة». ابتسمت لأوين، ولكنه استطاع أن يرى أن ابتسامتها مصطنعة وليست طبيعية، ثم أضافت: «أنا بخير يا بني. لكنني مرهقة بعض الشيء. أعتقد أنني سأستلقي لبعض الوقت».

راقب أوين والدته، ولاحظ أن خطواتها لم تكن طبيعية،

فانتظر حتى ابتعدت بما يكفي حتى لا تسمع ما يقوله، وخاطب كايا: «هناك خطب ما فيها».

ردت كايا: «خالجني الشعور نفسه أيضاً، سأراقبها عندما أستطيع ذلك. لقد حدثت الكثير من الأمور يا أوين، فلا تقلق كثيراً. لقد مرت والدتك بالكثير؛ إذ فقدت منزلها، وأصبح ابنها مشهوراً جداً، وهناك مجموعة من الغرباء يتربصون في كل مكان اعتادت الذهاب إليه، وهذه الأمور ليست بالأمر الهين عليها».

«نعم أنت محقة». فجأة خطرت فكرة لأوين فهبّ قائلاً: «هل تعلمين؟ أنت ذكية جداً مقارنة بالفتيات». ابتسم أوين لكايا بتكلف شديد.

«ربما يجب أن نتدرب اليوم حتى أعلمك كيفية التحدث إلى فتاة».

«فتاة؟ ها قد بدأنا».

ضحكت كايا قائلة: «هل تعلم؟ في البدء ظننتك مملاً، لكن لا بأس بك».

قال أوين: «شكراً...».

«تعالَ معي. هناك شيء أريدك أن تراه».

عبرا المدخل الحجري نحو ورشة الحدادة، ففوجئ أوين برؤيتها مضاءة بالفعل. لقد كانت كايا تعمل على تجهيزها.

«انظر. لقد صنعت هذا عندما كنتَ في الخارج».

حملت كايا تمثالاً صغيراً لامعاً من الصلب لفارس يمسك سيفه بشجاعة كما لو كان مستعداً للقتال وإلى جانبه درع.

قال أوين وهو يدرس تفاصيل التمثال المعقدة: «هذا مذهل. انتظري لحظة، هذا الدرع والسيف يشبهان درعي وسيفي تماماً... هل هذا أنا؟».

«أجل. هل أعجبك؟».

«أعجبني؟ كايا، هذا لا يصدق. كيف فعلتِ ذلك؟».

«رائع. يسرني أنه أعجبك، إنه هدية. لقد صنعته لأجلك».

«حقاً؟ لأجلي؟ شكراً، هذا لطيف جداً. سأضعه في غرفتي حتى أتمكن من رؤيته كل يوم».

مازحته كايا قائلة: «إنه ليس أزرق بطبيعة الحال. حاولت أن أتخيل كيف بدوت عند استعدادك لمحاربة كالوريث. لقد سمعت الكثير من القصص، وتمنيت لو أنني كنت هناك».

«أجل، حسناً، أجد صعوبة أحياناً في تصديق ذلك. لكن هذا شيء عظيم. كيف لي أن أشكرك؟».

«رضاك هو كل الشكر الذي أتوق إليه، عندما تصنع شيئاً بيديك، فإنك تبذل كثيراً من الجهد فيه، وعندما يقذف به شخص ما جانباً أو يتجاهله، تنزعج. إن رؤية سعادتك والبريق في عينيك يؤكدان لي أن هذا العمل يستحق الجهد الذي بذلته فيه. هذا هو جوهر الصناعة؛ إسعاد الآخرين. كما أنني ما زلت أشعر بالسوء لأنني أبرحتك ضرباً بالأمس».

تذمر أوين مدافعاً: «تأتين بلفتة لطيفة حقيقية مثل هذه، وبعد ذلك تفسدينها، لقد قلت لك إن الحظ حالفك بالأمس».

عندما رأى كايا تضحك، ارتسمت على شفتيه ابتسامة ومدّ ذراعيه ليعانقها.

فوجئت كايا بالعناق، وربتت على ظهر أوين بارتباك قبل أن تدفعه بعيداً.

قال أوين: «أنا آسف، لم أقصد الإساءة...».

«لا، لا. شكراً لك يا أوين. أنا فقط... لم أكن مستعدة، هذا كل ما في الأمر. لم يسبق لي أن عانقت...»، تراجعت.

«بشرياً؟ حسناً، وأنا لم يسبق لي أن عانقت قزماً، ولكنني الآن لا أرى فرقاً بين معانقة بشريّ وقزم. حسناً، بخلاف الرائحة بالطبع»، ضحك أوين.

ربتت كايا على ذراعه، وضحكا، وعلى نحو مفاجئ، اندفعت كايا نحوه وعانقته.

قالت: «أعتقد أن هناك تغييرات يجب أن نعتاد عليها».

7

انعكست أشعة الشمس اللامعة على النهر المتدفق ببطء، في الوقت الذي راقصت فيه الرياح أوراق الأشجار. ضجت ضفة النهر حيث اصطاد أوين السمك وتدرب على التحرك بسلاسة على وقع قعقعة السيفين الخشبيين.

«جيد، أنتَ أسرع من المرة السابقة. تبدو أكثر تركيزاً اليوم».

«مهلاً، لقد أخبرتك أنك كنتِ محظوظة، أشعر أنني أفضل حالاً اليوم، ربما تمنحني الشمس مزيداً من الحيوية، وأشعر أن عضلاتي طبيعية مرة أخرى، وأنا على استعداد لتحمل أي شيء... حتى أنت»، ابتسم أوين.

«لا تبالغ في الثقة بنفسك، فما زلنا في البداية».

وقفا قبالة بعضهما، وارتسمت الابتسامة على شفاههما، وبدت ملامح وجهيهما جادة. أصر أوثغار على أن يرتديا وسائل للحماية وهو ما قبله أوين على مضض. كان يرتدي زياً داكن اللون من الجلد المصبوغ؛ ليس باللون الأزرق الساطع مثل درعه المتين؛ أما لون زي كايا فكان بنياً فاتحاً. كان جذعاهما وأذرعهما

مغطـاة، مـع أن البطانات كانـت بالية ولن توفر حماية حقيقية إذا استخدما نصلين من الفولاذ بدلاً من الخشب غير الحاد.

«هاه»، صرخ أوين وهو يقفز إلى الأمام، وعندما دارت كايا حول نفسها كما لو أنها زوبعة من الغبار، انتهى بها المطاف واقفة خلف أوين، ونصلها الخشبي على عنقه.

ضحكـت كايـا قائلـة: «أمسـكت بـك، كان الأمـر فـي غاية السهولة».

سألها أوين محتاراً: «بدوت وكأنك تعلمين كيف سأتحرك، هل يمكنك قراءة أفكاري أو شيء من هذا القبيل؟».

«أجل، نوعاً ما».

«حقاً؟ هذا ليس منصفاً، كيف تفعلين ذلك؟».

ضحكـت كايـا بلطـف قائلـة: «حسـناً، أنـا لا أقـرأ أفكارك، ولكننـي تعرفـت إلـى الأنماط التي تتحرك وفقها، هذه أكبر نقاط ضعفك، فأنا أتوقع خطوتك التالية».

«مـا الـذي تقصدينـه بأنـك تعرفيـن الأنمـاط التـي أتحـرك وفقها؟».

«الأمر بسيط حقاً. هل تدرك أن هجومك الأول مرتفع دائماً؟ ثـم تُتبعـه بهجـوم منخفض ثم تتراجـع، وبعد أن تُكرر الأمر عدة مرات، تندفع إلى الأمام في اتجاه خصمك كما فعلت للتو، لقد توقعتُ حركتك، وتصرفت على هذا الأسـاس. إن مراقبة سـيف عـدوك أمـر مهـم للغاية، ولكن إذا انتبهت جيداً لنظراته وصدره، فسترى إلى أين سيذهب بعد ذلك».

بدا أوين مندهشاً كما لو أنه حيوان وقع في الشرك، وسألها: «هل أفعل ذلك حقاً؟».

«أجل، ما لم أكن أنا من بدأ بالهجوم، ثم تحاول إيقاف نصلي. بعد ذلك، عندما تسنح لك الفرصة تفعل شيئاً مشابهاً لما وصفته للتو، يجب أن تكون أكثر عفوية. انطلق مع التيار، وابحث عن منفذ، واغتنم الفرصة، وفاجئ خصمك على حين غرة».

«رائع، حسناً، سأحاول فعل ذلك، سأفكر في الأمر من الآن فصاعداً».

«لا أوين. تكمن المشكلة في التفكير، لا تفكر في ما تقدم عليه».

«لم أفهمك. لماذا لا تريدين مني أن أفكر في ما سأقدم عليه؟».

لم تتمالك كايا نفسها من الضحك، فقد كانت عينا أوين مغمضتين، ولم يُحدق إلى شيء، وهو يحاول أن يفهم ما قيل له للتو. قالت: «حسناً، لنبدأ بالجزء الآخر الذي ذكرته أنا، حاول مراقبة عيني خصمك وصدره، راقب عينيّ هذه المرة. فهل ستتمكن من توقع الجهة التي سأحرك إليها سيفي؟».

وافق أوين قائلاً: «حسناً، لنحاول».

هاجمت كايا أوين من جهة اليسار، لكنه سرعان ما تصدى لها بضربة سريعة من سيفه. ثم استدارت، وأرجحت يدها إلى الخلف وهاجمت، ولكن هذه المرة بالكاد تصدى لها أوين. بعد ذلك، تظاهرت أنها ستهاجم من الأعلى، إلا أنها استدارت،

وهاجمت مجدداً من الجانب. بذل أوين قصارى جهده للتصدي لها، لكنه كان بطيئاً للغاية، فضربت بنصلها الخشبي ذراعه.

«كم هي سريعة!»، تمتم أوين في سره.

«لا، فقط أسرع منك. برأيك لماذا هزمتك؟».

«اعتقدتُ أنك ستهاجمين من الأعلى، لكنك بعد ذلك غيرت كل شيء وفاجأتني. لم أكن مستعداً تماماً».

«هذا لأنك لم تكن منتبهاً. هل راقبت عينيّ وصدري؟ لو فعلت، كنت سترى أنني تركت مساحة فارغة أمام سيفي، ولو أنني أرجحت يدي، حتى أثناء الاندفاع للأسفل، يجب أن يتبعها السيف، ولن يستمر في المسار نفسه، فأنا وسيفي شيء واحد، لذلك، أينما أذهب، يذهب. هل فهمت؟».

أجابها أوين وبدا قلقاً: «أجل، في الواقع أعتقد أنني فهمتك. دعينا نحاول مجدداً».

عاودت كايا الهجوم، ولكن هذه المرة سددت ضربة منخفضة، وهذا ما أجبر أوين على النظر إلى الأسفل، وعندما نظر حوله، عرف الاتجاه الذي ستهاجم من خلاله واستطاع أن يوقف النصل، وعلى الرغم من أنها كانت تتحرك بسرعة تمكن من تعديل وقفته، وصد هجماتها واحدة تلو الأخرى.

شجّعته قائلة: «جيد، لقد فهمت المبدأ، سأتحرك أسرع قليلاً الآن».

أسرع؟ فكّر أوين، وكما حدث سابقاً، تعرض للضرب، ولكن هذه المرة على ذراعه الأخرى.

أرخى أوين كتفيه، وتنهد ولم يقل شيئاً، لقد شعر بالهزيمة، وهذا ما لاحظته كايا بوضوح.

«أحسنت يا أوين. لقد بدأت تفهم، لا تشعر بالإحباط، لقد حققت تقدماً كبيراً».

كان أوين ينظر إلى الأرض بحزن عندما أسرعت كايا لمعانقته بعد أن تخلت عن حذرها، فاندفع أوين إلى الأمام، وهذه المرة سقط رأس سيفه مباشرة في وسط معدتها، وقال ضاحكاً: «لقد نجحت».

«مهلاً»، احتجت كايا.

تفاخر أوين قائلاً: «قلت إنني بحاجة إلى أن أكون أكثر عفوية، وأخبرتني أيضاً ألا أتخلى عن حذري. من المعلم الآن؟».

«ما زلت أنا»، استهزأت كايا محركة ساقها بحركة لولبية، فما كان من أوين إلا أن سقط، فجثت على صدره.

تأوه أوين صارخاً: «بالله عليك، هذا ليس...».

صفعته كايا على خده بخفة وقالت: «أيها المشاغب، أنت تتعلم. هيا انهض». نهضت عنه، ومدّت يدها لتساعده على الوقوف.

شعر أوين أن الفرصة لاحت له مجدداً، فأمسك يد كايا، وجذبها إلى الأرض. «مهلا»، صاحت في الوقت الذي ضحك فيه أوين، ودحرج كايا على بطنها، وجثا فوقها، وثبت ذراعيها إلى الأسفل، فراحت تتلوى في محاولة لتحرير نفسها، لكنها لم تستطع التغلب عليه.

مازحها أوين قائلاً: «قولي إنني الأفضل. هيا، أقرّي بذلك».

تأوهت كايا وقالت: «لن أقول ذلك أبداً أيها الجاحد»، لكنها ضحكت في الوقت نفسه.

«هيا، اعترفي بذلك، تعلمين أنني أفضل منك. قوليها... هيا».

صرخت كايا: «أفلتني يا أوين. أنا أحذرك».

«لن أفلتك قبل أن تعترفي أنني أفضل منك».

«عندما أنهض، ستدفع ثمن ذلك»، أصبحت كايا أكثر غضباً الآن، وهي ترزح تحت ثقل أوين.

«كفى».

قاطعهما صوت أجش: «أفلتها فوراً يا أوين».

اعتدل أوين في جلسته، وساعد كايا على النهوض. نهضت ببطء وهي تشعر بالحرج، ثم نفضت العشب عن ملابسها.

وقف راغازار وهو يضع يديه على فخذيه العريضين، وينظر إلى الصديقين باشمئزاز شديد ثم قال: «هذا مخجل. لقد أخبرني أوثغار أنك تتدرب اليوم، لذا جئت للتحقق من تقدمك، ولكن أي تقدم رأيت؟ أوين، أنت فارس أوثغار. يجب أن تخجل من نفسك، ولا تقدم على مثل هذه الأفعال. هل تشعر بالرضا للتفاخر في التدريب؟ هل سيكون كل شيء لعبة بالنسبة إليك عندما يحين وقت معركة حقيقية؟».

احمرّ وجه أوين من الحرج وأجاب: «لا يا سيدي. كنا نتدرب، ثم أخذنا استراحة ولهونا قليلاً. لم أقصد أي إهانة».

دمـدم راغـازار قائـلاً: «لا وقت للهو أثناء المعركة. إذا كنت تأخذ هذا التدريب كأمر مسلم به، فأنت تعرض نفسك ليس فقط للهزيمة، بل لإلحاق العار بأوثغار وسائر الأقزام، لقد عُينت في منصب مرموق، لكنك لا تعطيه الأهمية التي يستحقها».

«أبي أرجوك. كان أوين يحاول فقط التفوق عليّ...».

«لا يـا كايـا، لا تدافعـي عنـه، أنتِ أفضل من هذا. أنا أعرف ما رأيت. هذا... لا يجدر بالبشري أن يقاتل من أجل الأقزام».

جحظـت عينـا أوين واستشـاط غضباً، فوقـف على رؤوس أصابعه، وزمجر مثل الكلب سائلاً إياه: «ماذا قلت للتو؟ لا يجدر بي القتال من أجل الأقزام؟».

قـال راغـازار: «هـذا بالضبـط مـا قلتـه، أدركـت منـذ المرة الأولـى التـي التقيـت بك فيها أن أوثغار ارتكب خطأ. هل تذكر؟ لم يكن هناك أي شـخص ليدربك، أليس صحيحاً؟ أنت لسـت سوى همجيّ عديم الاحترام. من الآن فصاعداً، لن أسمح لابنتي بتدريبك، أنت لا تساوي الغبار الذي تمشي عليه».

قاطعه أوين قائلاً: «انتظر لحظة».

«أبي، كيف تقول هذا؟ أوين محترم جداً، وهو يتقدم بسرعة، وقد استحق التكريم الذي منحه إياه أوثغار على أعماله السابقة، أنت لا تعني ما تقوله».

لم يسبق لأوين أن رأى كايا ثائرة على هذا النحو. كان يعلم أن صداقتهمـا متينـة، لكنـه لـم يظن أنها قد تثور بوجه والدها من أجله، ربما لم يعتد أوين بعد على تقاليد الأقزام، لكنه يدرك جيداً

أنه من غير المقبول أن يعارض المرء والديه، خاصةً أولئك الذين شغلوا منصباً رفيعاً مثل راغازار.

«لديك الكثير لتتعلميه يا كايا. السبب الوحيد الذي جعل أوثغار يمنح أوين هذا اللقب هو أنه يمكنه سد الفجوة بين البشر والأقزام لمدة كافية لاستعادة وطننا، ولن يمر وقت طويل قبل أن ننحيهم جانباً، ونستعيد الأرض التي كانت لنا قبل سنوات. ما من سبب لمنحه لقب فارس سوى أن يعتقد أنه قوي بما يكفي لقتل التنين. من الواضح، أنها مجرد صدفة. بالإضافة إلى أنه لو لم يظهر الأقزام ويمسكوا كالوريث، فما كان أوين لينال منه، إنه بيدق في لعبة أكبر بكثير، وستنتهي هذه اللعبة قريباً. عودي إلى المنزل كايا ولا تتحدثي إلى هذا الفتى مجدداً».

«لكن يا أبي...».

«كايا، لا تناقشيني. سنتحدث في المنزل، اذهبي الآن، أريد التحدث إلى أوين على انفراد».

أجابت كايا بطاعة: «حسناً يا أبي». ثم ألقت نظرة أخيرة على أوين قبل أن تغادر. كانت عيناها تتوسلان إليه بالاعتذار.

«لا بأس»، همس أوين وابتسم. ومع ذلك، لم يستطع كبح غضبه وهو يشاهد صديقته تبتعد خلف الأشجار.

قال أوين بغضب: «سأخبر أوثغار بما رأيت، فهو لن يدعك تفلت بأكاذيبك».

«أكاذيب؟ أيّ أكاذيب؟»، نظر راغازار إلى أوين نظرة غير مريحة كالتي رمقه بها عندما تقابلا للمرة الأولى، ثم قال: «ما قلته

لـك ولكايـا هـو فقط ما يعرفه الآخرون بالفعل. هل تظن حقاً أن أوثغار يهتم بك؟ إنه ملك يا أوين. يقول الملوك ويفعلون كل ما يحتاجون إليه من أجل إسـعاد شـعبهم، إنه يسـتخدمك كما ينوي أن يستخدم سائر البشر».

«لا، هـذا ليـس صحيحـاً. ماذا سـيجني مـن مجموعة أناس ليـس لديهـم قـوة بالفعـل؟ أوثغـار يريـد أن يوحّد جهود البشـر والأقزام».

«يا لك من فتى سخيف! من المستغرب أنك تفكر أن العداء المسـتحكم بيـن البشـر والأقـزام، يمكن أن يكـون ركيزة لتعاون مشـترك بينهما، لقد فقد أشـخاص كثر حياتهم نتيجة هذا العداء بمن فيهم عائلة أوثغار».

قال أوين بتلقائية: «غالدريد».

«مـا دمـت تعـرف عـن أخيـه، يفتـرض بك أن تـدرك مقدار الكراهية التي تسري في دماء أوثغار».

«لا، أوثغار ليس مثل أخيه. لقد أخبرني بما جرى، وكم شعر بالعار لما أقدم عليه غالدريد».

«أنـت فتـى غرير، هذا ما سـعى أوثغار لتظنـه، كان غالدريد بطلاً بالنسبة إلى الأقزام، لقد نهب قرية بعد قرية واكسبنا السلطة التـي نسـتحقها، لقـد كان أوثغار يثني عليه ويتبعـه، وعندما قُتِل، تعهـد بالثـأر لروحـه، وعـاد إلى هنا ليثبت للجميع أنه سيسـتعيد العرش، ويعيد الأراضي إلى أصحابها الشرعيين، إذا كنت ترغب في البقاء حيّاً يا أوين، فغادر. خذ والدتك، كل ممتلكاتك وغادر

هذا المكان على الفور. لأنك إذا بقيت، فكن واثقاً أنها ستعاني الأمرين».

صرخ أوين معارضاً: «لن أقف هنا وأستمع إلى هذا، سأذهب إلى أوثغار لنضع الأمور في نصابها، أوثغار هو بمنزلة أب لي، وهو لن يستخدمني في حرب مع البشر، ويعود الفضل لكل ما أنا عليه لأوثغار».

«هل تقول إنه بمنزله أب لك؟ كم تكون المشاعر الأسريّة خادعة! أما بالنسبة إلى التحدث إليه، فلن تفعل ذلك في أي وقت قريب. أنا الذي اقترحتُ أن تأتي للتدرب هنا اليوم بمفردك، بعيداً عن أي شخص آخر ومن دون درعك الأزرق».

«لماذا؟»، سأل أوين وهو يحدق بشدة إلى راغازار؛ ما الذي يخطط له؟ حدث نفسه قلقاً.

«أحضرت معي صك حماية. يمكنك الخروج الآن... يا إلسا».

خرجت فتاة من بين الأدغال، وتساءل أوين: منذ متى كانت هناك؟ وما مقدار ما سمعته؟

«حسناً، سأترككما معاً في الوقت الحالي»، ضحك راغازار وابتعد، في الوقت الذي تجمد فيه أوين في مكانه، عندها قال راغازار بسخرية: «استمتعي يا إلسا».

8

«حسناً يا بطل. أما زلت تشعر بالرضا عن نفسك؟ بالمناسبة، بينما أنت هنا، على وشك الموت، فإن صديقك الصغير أوثغار على وشك أن يلقى نهايته، من أجل الملك الحقيقي».

سألها أوين: «ما الذي تقصدينه؟». رآها تتقدم إليه وهي تحمل حربة خشبية غليظة، فتذكّر أوين أنه لا يزال يحمل سيف التدريب الخشبي، الذي لن يصمد في مواجهة سلاح حقيقي. كان شبه أعزل، وتوجّب عليه أن يفكّر في طريقة للخروج من هنا وبسرعة.

«لقد قرر الملك أن أفضل طريقة للسيطرة على الأراضي هي القضاء على أي منافسة، وهذا لا يعني أن أوثغار يستحق أن يوصف بالمنافس».

ما علاقة الملك بهذا؟ تساءل أوين: «هذا سخيف، أوثغار محاط بقومه، هناك الكثير من الرعايا المخلصين إلى جانبه، ولن يسمحوا بأن يمسه مكروه».

«بلى، يمكن أن يمسه مكروه. فرعاياه ليسوا موالين كما تعتقد، ومن المؤسف أن بطلاً سيعجز عن إنقاذه هذه المرة».

صرخ أوين غير راغب في تصديق ادعاء إلسا: «سيدافع الأقزام عنه».

«لا، لا أعتقد ذلك. لقد أمرهم راغازار بالعودة إلى مناجمهم، ومعظمهم لا يعرفون ما يجري، والذين يعرفون لا يهتمون. هل تعلم أن معظم الأقزام يتبعون أوثغار فقط لأنهم مضطرون، ولكن بمجرد أن يتولى راغازار زمام الأمور، فستعود الأمور إلى نصابها».

«هذا كلام فارغ. ماذا عن ملكك المزيف؟ ما علاقته بكل هذا؟ لم يره أحد منذ أيام».

«كثيرة هي الأمور التي لا تعرفها. ولسوء الحظ، لن يطول بك المقام لرؤية ما سيحدث».

ناشدها أوين وهو يرفع يديه: «انتظري لحظة، فلنتحدث».

تابعت إلسا تقدمها صوب أوين محركة الحربة ببطء بيديها وقالت: «لقد تحدثنا بما فيه الكفاية يا أوين، حان الوقت للانتهاء من كل هذا».

اضطرب أوين وهو يفكر في مخرج، ولكن إلسا لم تمنحه إلّا قليلاً من الوقت، ركضتْ صوبه، فجحظت عيناه من هول الصدمة، عندما شاهد الحربة تطير نحوه، بشكل تلقائي قفز ليتفاداها، وشهر سيفه الخشبي ليدافع به عن نفسه، ولكن ما إن اصطدمت به الحربة حتى فتّتته كما يتفتت الزجاج عندما يتحطم.

جثم أوين، وألقى ما تبقى من سلاحه على الأرض.

قالت إلسا بهدوء: «أنت سريع، أقر لك بذلك، لكن لا يوجد

مكان تفر إليه. سلّم نفسك تسلم، وسآخذك إلى الملك، حاربني ولـن تتـرك لـي أي خيـار، لا تصعّب الأمر على نفسـك أكثر مما يجب».

حاول أوين التفكير بسرعة وقال: «إلسا، هذا سخيف. لماذا توالينه على أي حال؟ ولماذا تقاتلين من أجل شخص شرير؟».

وقفـت إلسـا وهـي تسـتعد للانقضاض: «أنـا أقاتل من أجل الملـك لأنـه أبـي والحاكم الحقيقي لهـذه الأراضي، لقد أخفاني حتى حان الوقت الذي احتاج فيه إليّ، وأنا أفعل ما يشـاء الآن؛ إما احتجازك أو قتلك. كفى ثرثرة، وقرر ماذا تريد».

أبوك؟ فكرّ أوين، وقبل أن يتمكن من طرح مزيد من الأسئلة، هاجمته إلسا بشدة. فتفاداها مجدداً، ولكن هذه المرة أصيب في كتفه. بالكاد لمست جلده، لكن كان ذلك كافياً لإبقاء أوين خائفاً من التعرض لإصابة أفدح بضربة قوية.

«كفـى»، صـاح أويـن، «هـذه ليسـت معركـة عادلـة. كيـف تهاجمين شخصاً أعزل؟».

زأرت إلسـا، وهـي تهاجـم أويـن بتهور مـرة أخرى وقالت: «ليس خطأي، لقد اخترت ألا تأتي معي، وأجبرتني على ذلك».

واصلـت الهجمـات، وأرجحـت حربتهـا، ونـوت أن تكون ضربتها التالية قاتلة، راقب أوين تحركاتها السريعة. كانت تؤرجح الحربة، وتحركها بشكل إيقاعي فوق رأسها وجسمها بلا توقف، ولم يبدُ عليها أنها سـتتعب، بدأ أوين يفقد قوته، ولم تعطه إلسـا أي بادرة أمل، ولم يسـتطع أن يقرر ما إذا كان من الأفضل الرد

أو الغوص في النهر ومحاولة السباحة هرباً.

صرخت إلسا بغضب وانزعاج: «استسلم».

قال أوين بأكبر قدر من الهدوء: «كلا».

واصلت إلسا مطاردته، وعندما رمت بالحربة صوبه، اصطدمت بالأرض بعد أن تفاداها أوين، نجا أوين عدة مرات من هجماتها السريعة، وكلما أخطأت إصابته، كلما كانت تستشيط غضباً.

فكّر أن عليه أن يستدرجها حتى تدنو من ضفة النهر، فتحرّك أوين صوب منطقة تغطيها الأعشاب، وعبرها حتى أصبح في منطقة تعلو مجرى النهر بقدم تقريباً، وقال في نفسه: بمجرد أن تهجم يجب أن أتنحى جانباً.

صرخت إلسا وهي تركض صوبه، وتمسك الحربة بكلتا يديها، فألقى بنفسه أرضاً، وتدحرج صوب اليسار، ونهض بعد أن تجاوزته إلسا، ودفعها من الخلف.

صرخت إلسا «آآآآه»، وأفلتت حربتها التي سقطت في مياه النهر، وما لبثت إلسا أن سقطت بدورها في المياه.

التقط أوين أنفاسه، وجثا على إحدى ركبتيه عند ضفة النهر. وعندما نظر إلى الأسفل، كانت ذراعا إلسا تهتزان مثل الأغصان الرفيعة في مهب العاصفة. بدأت بالصراخ وهي تختفي تحت سطح الماء.

صرخت: «النجدة! أوي...»، وغاصت تحت الماء، ثم طفت مرة أخرى وأكملت: «لا أعرف السباحة...».

صُدم أوين مما سمع، وشرع يركض عازماً على مساعدتها. صحيح أنها كانت تنوي قتله، ولكن ضميره لن يسمح له بتركها تغرق.

صرخت إلسا مجدداً: «أوين، ساعدني».

فردّ عليها: «أنا قادم».

غطس في المياه على بعد عدة أقدام من إلسا، ودفع بجسده وكأنه نسر يهاجم سمكة أسفل الماء، وتمكن من رؤيتها، فلم تكن تفصله عنها سوى أقدام قليلة.

خاطبها مطمئناً إياها: «اصمدي، أنا معك». ثم أحنى ظهره، وأمسك بها، وسحبها صوب ضفة النهر وهو يكافح بعكس التيار ويصرخ: «ابقي ساكنة».

في الوقت الذي كانت تصرخ فيه مذعورة، وتحرّك يديها بشكل محموم، ضربته بظاهر يدها، فشعر بألم شديد في أنفه، فأغمض عينيه، وشعر وكأنه ضرب على وجهه بمطرقة أوثغار المربعة.

انزلق أوين تحت الماء متألماً، وعندما عاد إلى السطح، كان التيار قد سحب إلسا.

صرخ أوين: «إلسا»، حاول منع التيار من سحبه هو الآخر. تلطخ الماء حوله باللون القرمزي. وبما أن وجهه كان مبللاً، فلم يشعر بالدماء تسيل من أنفه.

صرخ مذعوراً: «إلسا، أين أنت؟». كان رأسه يؤلمه، وأنفاسه ثقيلة مثل ملابسه المبللة.

غطس أوين ليبحث عن إلسا، بينما كان التيار يسحبه ببطء، ولم يعرف أين هو، حارب غريزة البقاء والاكتفاء بإنقاذ نفسه، وترك إلسا لمصيرها. لقد سعى لإسقاطها في الماء، وهذا ما أتاح له فرصة للهرب والنجاة، لكن ها هو يحاول أن ينقذها، فهو لن يسامح نفسه إن تسبب بموتها.

فجأة رأى جسداً يتحرك إلى يساره، فتنفس بعمق، وغطس مجدداً، فرآها تمسك بغصن شجرة. حاول أن يصرخ باسمها تحت الماء، لكن صوته كان مكتوماً.

سحبها، ولحسن الحظ، أفلتت بسهولة. ثم جذّف بساقيه بكل ما أوتي من قوة، وسحب جسدها إلى السطح حتى تتنفس، وكان أنفه يؤلمه بشدة.

أوشك أوين أن يبلغ الضفة، فتنفس بعمق، وسحب جسدها إلى بر الأمان بعد أن توقفت عن التخبط.

دفع الجزء العلوي من جسدها على الضفة، حتى لا تسقط مجدداً في النهر. ثم سحب نفسه ببطء من الماء.

«إلسا، هل أنت بخير؟».

أمسكها من ذراعيها، وسحب سائر جسدها إلى العشب الجاف.

صاح بها: «هيا استيقظي». وعندما نظر إلى وجهها، شعر مرة أخرى ببعض الألفة تجاهها، ولكنه لم يعرف السبب. «بالله عليك يا إلسا، لا يمكنك أن تموتي».

تسارعت ضربات قلبه، فاقترب منها، وبدأ ينفخ الهواء في

فمها. حاول مرتين، ثم ثلاث، فأربع مرات. وفجأة، اهتز جسدها، عندها جعلها تستلقي على جانبها، وبدأت تسعل وتُخرج الماء.

همس أوين آملاً أن يطمئن الفتاة: «لا بأس، أخرجيه. أنت الآن بأمان».

سعلت بشدة عدة مرات، ثم استلقت على ظهرها مغمضة عينيها، وتنفست بصعوبة.

سألها أوين وهو يشعر بالراحة والتعب في الوقت نفسه: «هل أنتِ بخير؟ ظننتكِ متِ».

حاولت إلسا التحدث وهي تلهث: «لقد... أنقذتني».

«أجل. بالكاد»، ابتسم لها. استعادت بعض القوة، فاتكأت على ذراعها لتواجه عدوها السابق الذي أصبح منقذها وسألته: «لماذا؟».

قال بعفوية: «لأنك كنت بحاجة للمساعدة».

«لكنني... كنت أحاول قتلك»، بدت محتارة.

«نعم فعلتِ. ولم أسامحك على ذلك».

سألته مجدداً: «لماذا لم تتركني أغرق؟ لماذا أنقذتني بعد ما رأيته مني؟».

«اسمعي، لا أعرف، لكنني أشعر أنك شخص جيد بخلاف ما تبدين عليه». مسح قطرة من الدم سالت من أنفه بظهر يده المبللة.

استلقتْ على الأرض واشتكتْ بهدوء: «رأسي يؤلمني».

«يجب أن أذهب، بعد أن أصبحت على بر الأمان، أخشى

أن تغضبي مجدداً وتحاولي اصطحابي إلى والدك».

«يبدو أنك لا تعرف، أليس كذلك؟».

سألها بخجل: «ما الذي لا أعرفه؟».

«اذهب، واسأل والدتك، ما من شك أن لديها الكثير لتخبرك إياه».

لم يعرف ما يجدر به أن يقوله بعد ما سمعه: «ما الذي يحدث يا إلسا؟ قبل دقيقة حاولتِ قتلي، والآن تطرحين الأسئلة عليّ. ما الذي يجب أن أعرفه؟».

بدت إلسا مترددة: «أوين... أنا أختك».

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

9

«أختي؟»، شعر بالدوار، «هذا مستحيل».

«إنها الحقيقة، لا أعرف كيف أشرح لك الأمر، لكن الملك والدنا، لقد هجر والدتك منذ مدة طويلة عندما كنتُ صغيرة، وكانتْ حاملاً بك. كنتُ في الثانية من عمري».

صرخ أوين: «هذا هراء. أنت تكذبين».

«لا، هذه الحقيقة. اسأل والدتك».

رد أوين بسخرية: «ولكن كيف؟ انتظري، ألا تقصدين والدتنا؟».

«أنت حر أن تصدق أو لا تصدق، ولكن الحقيقة هي أن الملك يريدك. في البداية، لم يرد سوى الحجر اللازوردي الذي وجدته وذلك القزم، ولكن بمجرد أن أصبحت ذا نفع له، أدرك أنه يمكنك المساعدة في تأمين المملكة».

أصغى إليها باهتمام شديد، لكنه وجد صعوبة في فهم ما تقوله، ووجد صعوبة في التمييز بين الحقيقة والخيال، بين الصدق والكذب. هل الملك والده حقاً؟ إن كان الأمر صحيحاً، فلماذا كذبت والدته عليه؟ وماذا سيظن الناس في القرية عنه

عندما يعرفون ذلك؟ والأهم من ذلك، هل أوثغار بخير؟ فجأة، صرخ أوين: «يجب أن أذهب لإنقاذ أوثغار».

«فات الأوان يا أوين. ربما انتهى الأمر».

وقف محاولاً أن يستجمع أفكاره وقال: «يجب أن أحاول»، استدار وركض نحو المنزل.

«لم ينته الأمر يا أخي»، صرخت إلسا من خلفه، لكنها كانت منهكة جداً لمطاردته مرة أخرى.

ركض أوين بالسرعة التي تسمح بها ساقيه. فقد استنزفه القتال والسباحة أكثر مما كان يدرك. عبر أوين النهر دون أن يلتفت إلى الوراء، حيث كان هناك جسر صغير متهالك يصل بين ضفتيه عند أضيق نقطة، ومن هناك، شق طريقه إلى الكهف الذي كان يعرفه جيداً.

عندما اقترب من المدخل، ركض مسرعاً عبر ورشة الحدادة متجاوزاً المطبخ ووالدته.

نادته ستيفاني: «تمهل يا أوين، ما الذي يحدث؟».

صاح أوين وهو يركض نحو الباب الكبير المؤدي إلى منزل الأقزام: «لا وقت للتفسير. أعتقد أن أوثغار في ورطة».

سألت ستيفاني وهي تحاول إبطاء ابنها: «أي ورطة؟».

«لا يمكنني الحديث عن ذلك الآن، يجب أن أعثر عليه قبل أن يصيبه مكروه، ولكن عندما أعود، يجب أن أتحدث وإياك». ندم أوين على الطريقة التي خاطب بها والدته، فقد بدت في صوته نبرة اتهام.

احمرّ خدا ستيفاني، وبدت على الفور وكأنها قد هرمت.

«أين أجده؟»، تساءل وهو يركض نحو بوابة القلعة. لم يسبق له أن أتى إلى هنا سوى مرة واحدة عندما اصطحبه أوثغار ووالدته في جولة بالقلعة للمرة الأولى، يومها فتح أوثغار الجزء العلوي من الجبل لفترة وجيزة. أما الآن، وبما أن التنين كالوريث لم يعد يشكّل تهديداً، فتح الأقزام الجزء العلوي بما يكفي لإضاءة الهيكل المتقن حتى يستمتع الجميع بروعة وجمال التصميم.

«أنت يا هذا. لا يُسمح لك بالدخول»، صاح قزم على أوين بصوت رقيق وهو يقترب من البوابات المذهبة، ووقف حارسان وسدا طريق أوين بواسطة رمحين.

«ما هو غير المسموح؟ لعلك تجهل من أكون، أنا فارس الملك أوثغار، أعتقد أنك خلطت بيني وبين شخص آخر».

«أعرف بالضبط من أنت، وأنت المخطئ. أوثغار ليس الملك».

«انظر، أنا مستعجل، لذا تنحيا فحسب حتى أتمكن من الوصول إلى الملك، لديّ رسالة مهمة وملحة يجب أن أوصلها له».

«أخبرنا الملك راغازار بألا يدخل أحد عبر هذه البوابة، لا يسمح لك بالتقدم أكثر من ذلك. غادر المكان فوراً»، أصر القزم، ولم يسمح لتعبيره الرسمي بإظهار أي علامة على خوفه على الرغم من شعوره بالرهبة عندما وقف أوين أمامه مباشرة.

أصيب أوين بالذعر، وشعر بالقلق على صديقه، لكنه علم

أنه إذا تسبب في أي مشكلة، فقد يلحق ضرراً بأوثغار بدلاً من أن يساعده، وفكّر أنه ربما هناك سبيل آخر للدخول.

قال وهو يضغط أسنانه: «لا بأس. هل يمكنك أن تخبرني على الأقل كيف يمكنني أن أوصل رسالة إلى أوثغار؟».

«لقد احتجزه الملك راغازار بتهمة الخيانة، ونصّب نفسه ملكاً على الأقزام، وهو المنصب الذي تقلده راغازار لسنوات عندما هرب أوثغار، لقد عاش بمفرده، وتخلى عنا جميعاً في الوقت الذي تحمل فيه راغازار عبء إعادتنا إلى موطننا؛ هنا، في القصر الذي أقامه أجدادنا. أنت بشري، ولا تعرف شيئاً عن ماضينا أو محنتنا، لقد استغلك أوثغار، وسيكون من الحكمة أن تعود إلى بني جنسك».

رفض أوين أن يصدق ما سمع: «أنت مخطئ. لقد أراد أوثغار أن يلم شملكم، وقاتل معي لإنهاء إرهاب كالوريث. هل تعلم؟ راغازار هو الذي خانكم».

في النهاية، قال القزم الأقصر: «سأعتقلك بسبب ما تفوهت به».

فما كان من الآخر إلا أن أمسك به وقال له: «على رسلك، إنه فتى عالق في هذه الفوضى، وهذا ما قيل له. في نهاية المطاف، لقد قتل التنين، فترفّق به»؛ تسببت شفقة القزم فقط في إشعال غضب أوين بشدة؛ «عُد إلى المنزل يا أوين، فلا عمل لديك هنا».

سأل أوين محتولاً أن يكبح جماح غضبه: «وماذا سيحدث لأوثغار؟». أراد مهاجمة الحارسين، ولكن حتى لو نجح في

طرحهما أرضاً، وهو ما يشك فيه، فكيف سيتجاوز البوابة المغلقة؟

«كما سبق وقلت لك، يعود هذا الأمر للملك راغازار، والآن أرى أن من الحكمة أن تعود إلى قريتك، وانسَ أنك قابلت يوماً ما قزماً يدعى أوثغار».

استدار أوين مبتعداً عن البوابة، وهو يفكر بطريقة تتيح له الوصول إلى أوثغار.

ستعرف كايا مكان وجود أوثغار، لكن لم يكن هناك طريقة للوصول إليها هي الأخرى. شعر أوين بالوحدة، وهو يرى أنه يفقد السيطرة على عالمه. لقد مُنعت كايا من رؤيته، وأُسر أوثغار، وانتقلت السلطة إلى راغازار الذي يتعاون مع الملك الشرير، وهذا ما أشعره بالغرابة، فكيف يمكن لملكين من جنسين مختلفين أن يتعاونا وكل واحد منهما مفعم بالكراهية تجاه الآخر؟

سأل أوين نفسه: هل الملك الشرير هو والده حقاً؟ وإن كان ذلك صحيحاً، فلماذا أخفت والدته الحقيقة عنه؟

10

«أمي، يجب أن نغادر بسرعة». وجد أوين والدته تجلس على سريرها، وتحدق إلى الجدران غير مدركة أنه عاد إلى المنزل. «أمي».

نظرت إليه ستيفاني وهي تشعر بالحرج وقالت: «أوين. آسفة لأنني لم أنتبه لوجودك. ماذا قلت؟».

«يجب أن نغادر، احزمي أغراضك، أريدك أن تبقي في القرية».

سألته متفاجئة: «لماذا؟ ما الذي يحدث هنا؟».

«أصاب مكروه ما أوثغار، يبدو أن راغازار يحتجزه في مكان ما، ونصّب نفسه ملكاً على الأقزام بدلاً منه، وأجبر كايا على الابتعاد عني، لا أعرف كل شيء، لكنني أعرف أننا في ورطة، ولا يمكنني أن أتركك حتى أتأكد من أنك أصبحت في مكان آمن».

«يا إلهي! اجلس يا أوين، دعنا نفكّر في الأمر. أخبرني بكل شيء». أصرّت ستيفاني.

«أمي، ليس هناك وقت، أنا...».

أخفضت ستيفاني صوتها: «اجلس يا أوين، يجب أن نفكّر،

كما أنني أود أن أُطلعت على أمر».

سألها أوين: «تقصدين بشأن أختي؟».

نظرت إليه ستيفاني، وقد أحاطت هالات سوداء عينيها، واحمرّ وجهها وكأن ماء ورد قد سال على خديها.

همست: «إلسا».

جلس أوين على السرير إلى جانب والدته، وقد زاد استياؤه بسبب شعورها بعدم الراحة والذنب.

سألها أوين وهو يحاول السيطرة على نفسه: «هل هي حقاً أختي؟».

اغرورقت عيناها بالدموع: «أجل يا أوين. أنا آسفة».

«لماذا لم تخبريني عنها من قبل؟ ماذا حدث؟».

«ولدتْ إلسا قبلك بعامين. لقد كنتُ ووالدك...».

قاطعها أوين: «هل تقصدين الملك؟».

استغربت ستيفاني: «الملك؟!».

«أخبرتني إلسا أن الملك هو... والدنا».

«كلا يا أوين. هذا ليس صحيحاً». عدّلت ستيفاني جلستها واستدارت نحوه، ثم مدّت يدها محتضنة يده قائلة: «الملك ليس والدك».

فجأة شعر أوين بألم في صدغيه: «أنا في غاية الارتباك، ما من شيء في سياقه الطبيعي، ولا أستطيع تمييز الحقيقة من الكذب، سبق لك أن أخبرتني أن والدي مات عندما كنتُ صغيراً، قلتِ إنه كان مريضاً. لماذا أخفيتِ الأسرار عني؟». حاول أوين

الوقوف، لكن ستيفاني منعته، لم يعد بإمكانه النظر إلى عيني والدته، وقد ضج رأسه بالغضب، والخوف، والارتباك، وشعر فجأة بالدوار.

«اسمح لي أن أشرح أرجوك، أنت محق، كان يجدر بي أن أطلعك على أمر أختك من قبل. بعد ولادة إلسا وحملي بك، أصيب والدك... والدك الحقيقي، بمرض مميت. كان والدك مبعوث الملك، وكان يسافر من أرض إلى أخرى وغالباً ما ارتحل لأيام متتالية. لقد دفع له الملك بسخاء، ولكن بمجرد مرضه، لم يعد بإمكان والدك مواصلة مهامه.

أُرسل والدك إلى قرية لافيت التي كان الملك يسيطر عليها، وكانت مصدر أموال ضريبية كبيرة. ثم سمع الملك عن وباء أصاب كثيراً من الناس، فأرسل والدك للتحقيق، وتحصيل الضرائب المستحقة على الناس. احتج والدك، وقال للملك إذا كان شعب لافيت يعانون من المرض، فسيحتاجون إلى كل أموالهم لتدبر أمر الدواء والطعام المناسبين. غضب الملك من حجة والدك، وأجبره على زيارة القرية. هكذا، أصيب هو الآخر بالمرض. وبمجرد إصابته، تحدد مصيره. ولحسن الحظ، فبحلول الوقت الذي أصاب فيه المرض والدك، لم يعد معدياً لأي شخص آخر، وبعد ذلك بوقت قصير، أنجبتك».

لاحظ أوين أن يدي والدته كانتا باردتين. بدا الأمر كما لو أن إعادة سرد هذه القصة تسبب في برودة تهب عليها مثل نسيم الليل البارد، وكان صوتها هو الآخر بارداً جداً، فأدرك من

الحزن الذي رآه في عينيها ولغة جسدها أنها تقول الحقيقة، وتجد صعوبة في إخبارها، وشعر بقلبه يغرق داخل صدره، فلم يسبق له أن رأى والدته حزينة إلى هذا الحدّ.

«لكن ماذا عن إلسا؟ ماذا حدث لها؟».

«عندما سمع والدك بالطاعون الرهيب، رفض السفر إلى لافيت، فغضب الملك، وأمره أن يفعل ما قيل له، وإلا واجه عواقب وخيمة»، ارتعش صوتها وأكملت: «لذا...»، عندما سمع أوين الألم يتعمق أكثر في صوت والدته، حاول إنهاء الحكاية مقاطعاً إياها: «اختطف الملك إلسا، وأجبر أبي على الذهاب».

بكت ستيفاني وقالت: «أجل. قال إنه لن يؤذي إلسا إذا عاد والدك بأموال الضرائب المستحقة على أهل لافيت. عندما لم يعد والدك... افترضتُ أنها...»، لم تستطع ستيفاني نطق الكلمات، لكنها لم تكن مضطرة لذلك، فقد عرف أوين ما ستقوله.

«حسناً، طوال هذا الوقت، لم تكن لديك فكرة أنها حية، لكن الملك قال لها إنه والدها. كم من الغريب أن يخبرها عنك وعني!».

همست ستيفاني: «أجل».

تنهد أوين قائلاً: «هذا كثير جداً عليّ، لكنني مرتاح جداً لأن ذاك المغفل الشرير ليس والدي».

واصلت ستيفاني البكاء وقالت: «أنا آسفة جداً يا أوين، آسفة لأنني...»؛ وهنا قاطعها البكاء.

«لا بأس يا أمي. ما حدث قد حدث. اقتربي». مدّ ذراعيه

وعانقها مردفاً: «ربما حان الوقت لتعرف أختي الحقيقة وتعود إلى العائلة التي تنتمي إليها».

دفعت ستيفاني أوين وهي تمسك بكتفيه سائلة: «هل تعتقد أن هذا ممكن؟».

«كل ما أعرفه هو أن أوثغار بحاجة إلى المساعدة، ولا يمكنني القيام بذلك بمفردي، هناك شيء ما بشأن إلسا. عندما قاتلتها لم أشعر أنها شريرة، لا يسعني إلا أن أحاول إفهامها الحقيقة».

«انتظر. هل تقاتلتما؟»، سألته ستيفاني، وقد بدت مصدومة.

«أجل، لقد حاولت قتلي»، ابتسم أوين بخجل ثم أكمل: «لكن بعد ذلك أنقذتها من الغرق، إنها قصة طويلة يا أمي».

رفعت ستيفاني حاجبيها بدهشة سائلة: «حاولتْ قتلك؟».

«أجل، كما قلت، إنها قصة طويلة. لكن، بطريقة ما شعرت أن هناك خيراً فيها، ولكن لا أستطيع أن أشرح كيف».

لمعت عينا ستيفاني عندما فكرت في لم شملها مع ابنتها، بعدها سألها أوين: «هل هناك مكان ما يمكنك البقاء فيه يا أمي؟ في القرية؟ أريد أن أعرف أنك ستكونين بأمان، لا أتحمل فكرة تعرضك للأذى، أوثغار في خطر بالفعل، وربما كايا أيضاً».

«أوين، لا يمكنك فعل هذا بمفردك، أن...»، سكتت عندما بدا الانزعاج على وجه أوين.

«أمي. دعينا لا نبدأ هذا مرة أخرى، سأرتدي الدرع، وسأكون بأمان».

ابتسمت ستيفاني بتكلف وقالت: «أعلم يا أوين. أعلم. لم تعد صغيراً».

«سأراك أسفل الجبل بأمان، سأحاول العثور على إلسا. اذهبي واحزمي الأشياء التي تحتاجين إليها، وسأرتدي الدرع».

وافقته ستيفاني قائلة: «حسناً. يجب أن نتحرك».

سار أوين في القرية بجوار والدته، وكان درعه الأزرق يتلألأ في الشمس الساطعة، وقد لفت الانتباه وهو يبتسم للقرويين الذين كانوا يحيونه في كل خطوة. كان درعه معلقاً على ظهره، والسيف في غمده بجانبه وحمل خوذته في يده اليمنى. لم تعد هناك حاجة لإخفاء هويته، فمنذ أن أنهى تهديد كالوريث، عرف الجميع من هو.

ابتسم أوين لأمه قائلاً: «هذا غريب جداً».

سألته وهي تبتسم فخراً بابنها: «ماذا تعني؟».

«منذ فترة ليست ببعيدة كرهني هؤلاء الناس. أما الآن فهم يرحبون بي».

«لديك معجبون الآن، هنيئاً لك. إنهم ممتنون لك لأنك حررتهم من براثن الملك والتنين. انظر»، أومأت نحو فتى يركض نحو أوين وأضافت: «ها قد جاء أحدهم».

ناداه الفتى: «أزوريوس، أزوريوس».

ردّ أوين بابتسامة: «مرحباً»، وانحنى للتحدث إلى الفتى المبتهج، بدا أن عمر الفتى لا يزيد عن أربع أو خمس سنوات.

«رائع، تبدو متألقاً للغاية»، قال الفتى بنبرة توقير، وراح ينظر

بشغف إلى أوين ودرعه وكأنهما كيانان غير آدميين.

ابتسم أوين وقال: «شكراً. ما اسمك يا صديقي؟».

«اسمي بيلي يا سيدي».

«سيدي؟»، ضحك أوين وقال: «حسناً يا بيلي، يمكنك مناداتي أوين. هذا اسمي».

«حسناً يا سيدي... أعني يا أوين».

سأله بيلي: «تبدو خوذتك رائعة جداً. هل هي ثقيلة؟».

«لا، إنها ليست ثقيلة...»، فجأة، خطرت فكرة لأوين فقال: «تفضل، جرّبها واحكم بنفسك»، قدّم أوين الخوذة لبيلي.

صاح الفتى متحمساً: «حقاً؟ هل تعني ما تقوله؟».

«بالطبع، اعتمرها».

«رائع!»، صاح بيلي، وأخذ الخوذة اللامعة من أوين. أعلن بيلي بعد أن نفخ صدره، ووضع يديه على فخذيه: «أنا أزوريوس، البطل الذي هزم التنين».

ضحك كل من أوين وستيفاني. كانت الخوذة كبيرة جداً بالنسبة إلى حجم رأس بيلي، لكن أوين استمتع بالبهجة التي سببتها فكرته.

«بيلي، تعال إلى هنا، واترك الناس وشأنهم».

«آه، بالله عليك يا أمي»، عبس بيلي وهو يرفع الخوذة عن رأسه قائلاً: «تفضل يا أوين، عليّ أن أذهب الآن. شكراً»، ابتسم بيلي وهو يحمل الخوذة التي بدت ضخمة جداً مقارنة بحجم رأسه الصغير.

أجاب أوين مبتسماً: «على الرحب والسعة. سأراك في الجوار».

قال بيلي وهو يركض نحو والدته: «وداعا يا أوين».

تنهدت ستيفاني قائلة: «حسناً، لقد وصلنا. أعتقد أنك يجب أن تذهب»، أومأ أوين برأسه، «توخَ الحذر، وأخبرني عندما تجد أوثغار. أنا قلقة بشأنكما».

«أعرف يا أمي»، ابتسم أوين بثقة وأضاف: «سأكون بخير».

انحنى أوين وعانق والدته ثم استدار ليغادر. ولكن قبل أن يتمكن من الابتعاد، أمسكته ستيفاني من كتفه، وأدارته نحوها، فرأى أوين القلق في عينيها. بات اللون الأخضر اللامع الذي اعتاد عليه كثيراً أقل سطوعاً وأكثر رمادية. «إذا رأيت إلسا...»، قالت بصوت هامس، «أخبرها...»، مرة أخرى انخفض صوتها، وأفسح اللون الأخضر والرمادي الطريق للدموع.

«أعدك يا أمي أنني سأحاول إعادتها إلى المنزل». أنهى أوين أفكار والدته بدلاً عنها.

قالت وهي تبكي: «شكراً. الآن، اذهب وأنقذ أوثغار».

11

جثم أوين خلف كتلة من خشب الصنوبر، ثم تحرك بهدوء في الظلال. ارتفع الجدار الحجري أمامه عدة أقدام في الهواء. فهو لم يكن متأكداً إن كانت خطته ستنجح، لكنه علم أن خياراته محدودة، فلن يسمح الأقزام لأوين بدخول قلعتهم، لذلك سيحتاج إلى شخص آخر ليدخل مكانه. والشخص الوحيد الذي يمكن أن يفكر فيه هو إلسا، لكنه لم يكن متيقناً من أنها ستتحدث إليه من دون أن تحاول أذيته مجدداً.

فكّر لابد أنني مجنون. لم يسبق له أن كان بمثل هذا القرب من قلعة الملك، ولكن ها هو الآن ينظر إلى الجدران الحجرية. أدرك أن عليه التقرب من إلسا، وأمل أن يستدرجها إلى خارج الجدران ذات المظهر المفزع. كانت لديه خطة.

وقف حارس على البرج أعلى أوين، وخشي أوين أن يراه، وسمع من خلف الجدار أصوات تدريبات؛ اصطك الخشب والمعدن ببعضهما بشكل إيقاعي، لقد عرف أوين تلك الأصوات. فثمة شخص ما يتدرب خلف الجدران، وتخيل كيف سيبدو الأمر عندما يتدرب فارس داخل قلعة بالسيف متفادياً شريكه

في النزال. لم تتح له سوى فرصة العمل مع أوثغار والتدرب على الدمى حتى دخلت كايا حياته. ولكنه لا يعرف أين هي الآن.

أثار التفكير في كايا شجون أوين، وتمنى أن يقابلها مجدداً بعدما منعها راغازار من رؤيته، لو عاد به الزمن وعاش تلك اللحظة مجدداً، لكان سيهاجم راغازار، ويحمي كايا من والدها الشرير الخائن. بدت فكرة فقدان صديقة حقيقية؛ ليست شخصاً بالغاً مثل والدته وأوثغار، ولكن فتاة في سنه تهتم به وتهديه ذلك التمثال الرائع؛ وكأنها يد عملاقة تعصره عصراً.

تنفس أوين بعمق، ثم اعتمر خوذته وهمس: «ها نحن ذا». وقف شامخاً، وخرج من خلف الأشجار إلى العراء. مشى نحو بوابة معدنية عالية. أثناء استكشافه المحيط الخارجي للقلعة في وقت سابق من اليوم، وجد هذا المدخل الخلفي، وقرر أنه من الأفضل محاولة إقناع إلسا بالخروج من مؤخرة القلعة الحجرية الضخمة بدلاً من التسبب في الدمار بالقرب من القرية حيث يمكن أن يسقط ضحايا.

وقف أوين أمام البوابة المعدنية الضخمة. كان هناك بوابة معدنية أخرى في الخلف مع خط في المنتصف يفصلها إلى قسمين بحيث لا بد أن ينزلق أحدهما إلى الجانب الآخر. أخرج سيفه، وطرق بشدة بواسطة مقبضه على الفولاذ.

صاح أوين: «إلسا، أعلم أنك في الداخل، لم ننته بعد يا إلسا، اخرجي وواجهيني».

سمع الحارس الذي يقف في الأعلى الضجة، عندها صدح

صوت بوق خافت من مكان ما خلف الفولاذ والحجر. كانت خطة أوين تسير وفقاً لما هو مرسوم، ولكن هذا هو الجزء السهل.

«إلسا، أطلب منك أن تأتي إلى هنا. لقد أردتني. حسناً، أنا هنا». واصل الصراخ والضرب على البوابة الضخمة التي فُتحت في النهاية. وبمجرد أن بدأت تفتح، عاد أوين للاختباء بين الأشجار.

«أنت هناك»، صرخ صوت صاخب، ثم ظهر حارس، «لا تتحرك، سأقبض عليك باسم الملك، ابقَ في مكانك وتعالَ معي».

أجاب أوين: «أريد إلسا، أرسلها إلى هنا».

«لست في وضع يسمح لك بطلب أي شيء»، علا الصوت مرة أخرى، «افعل ما تؤمر به ولن تتأذى».

قهقه أوين بصوت عالٍ عازماً على إهانة الحارس وإغضابه، وقال بغطرسة: «أتأذى؟».

فتحت البوابة أكثر، وظهرت مجموعة كبيرة من الجنود الذين يرتدون زي حرس الملك، فغطى العرق جلده.

«أنا لست مشكلتك الوحيدة، لا تتحرك ولا تفكر حتى في محاولة القتال. نحن نفوقك عدداً».

سمع أوين المزيد من الحركة في الأعلى. فلما رفع عينيه، كانت الأسهم موجهة نحوه. لكنه أدرك أنها لن تخترق درعه، على الرغم من أنه لم يتم استهدافه من قبل. فجأة، استبد به الخوف، من الجيد أنهم لا يستطيعون رؤية وجهي بهذه الخوذة؛ حدث نفسه.

«أريد إلسا، أحضرها لي، أريد التحدث إليها فقط».

تابع الحارس إصدار الأوامر: «ابنة الملك ليست هنا. الآن. ضع سيفك على الأرض أمامك واتبع توجيهاتي».

بدأت البوابة المحصنة الآن في الارتفاع، ولم يكن لديه الكثير من الوقت. لا بد أن تكون إلسا هناك، وإلا ستفشل خطته.

صرخ مرة أخرى: «ائتني بإلسا الآن».

«لن...»، انقطع كلام الرجل.

سمع أوين صوت إلسا في مكان ما خلف الجنود وهي تأمرهم بالابتعاد عن طريقها.

زمجرت إلسا: «اتركوه لي».

تنحى الجنود جانباً، وانحنوا قليلاً واحداً تلو الآخر أثناء مرورها بهم، وهتفوا جميعاً: «سموكِ». أثناء تحركها عبر الحشد، انقسم الحشد مفسحاً مساراً كما لو كان مقسوماً بفأس ضخمة.

تحركت إلسا إلى الأمام، وابتعد الحارس عن طريقها. وقفت منتفخة الصدر ويدها اليمنى تمسك بقوة بحربتها.

سخرت إلسا قائلة: «ستموت».

رفع أوين يده وقال بهدوء: «انتظري، يجب أن أتحدث إليك، اطلبي منهم التزام الهدوء». شعر أوين بالقلق، فالبوابة على وشك أن تكون عالية بما يكفي لخروج الجنود ومهاجمته.

ضحكت إلسا وسألته: «هل أنت خائف؟».

«لا، كل ما أريده هو التحدث إليك، لقد تحدثت إلى أمي. إنها تريد منك العودة إلى المنزل».

صرخت إلسا: «أنت تكذب».

أصرّ أوين قائلاً: «لا، أنا لا أكذب. أريد أن أتحدث إليك، فالملك يكذب عليك، وأنا أحاول فقط أن أخبرك الحقيقة».

صرخ أحد الرماة: «إنه يتكلم بالسوء عن ملكنا»، وأطلق سهماً نحوه.

لم يبرح أوين مكانه عندما سمع ما قاله الرامي. في أعقاب السهم الأول، انطلق وابل من السهام نحو أوين مثل عاصفة من المسامير المعدنية، ولكنها اصطدمت كلها بدرعه، وسقطت على الأرض مكسورة الرؤوس.

«حقاً؟»، صاح أوين ساخراً، وهزّ رأسه بينما كانت جميع الأسهم المكسورة ملقاة عند قدميه. فشعر بالضيق الشديد، ولكنه كان سعيداً بالحماية أيضاً.

رفعت إلسا إحدى يدها وأمرت الحراس صارخة: «أوقفوا إطلاق السهام». فما كان من الرماة إلا أن أرخوا أوتار أقواسهم، ووقفوا منتبهين مثل كلاب مطيعة. احتدم الغضب في عينيّ إلسا وقالت: «حقيقة من يا أوين؟ حقيقتك؟ حقيقة أوثغار؟ لا تهمنّي، لا وقت لديّ لهذا. تعال معي لرؤية الملك قبل أن أضطر إلى سحب جثتك إليه».

صاح أوين: «لا، إذا كنت تريدينني، فسيتعيّن عليك القبض عليّ».

استدار وركض، فهدرت إلسا غاضبة. زحفت أسفل البوابة، ولم تنتظرها حتى ترتفع بما يكفي، وطاردت أوين في الغابة.

ركض أوين بسرعة، لكنه لم يرد أن يسرع، بحيث تفقد إلسا أثره، كان يعرف الدرب الذي يريد أن يسلكه، قبل أن يأتي ويقف أمام بوابة القلعة.

كانت إلسا أسرع مما توقع أوين، اقتربت منه، ولم تكن بعيدة خلفه. ركضا عبر الغابة، وبدوا مثل ومضتين من اللون الأزرق والأسود، غريبتين عن المحيط الأخضر الذي يتشكل من الطحالب وأشجار الصنوبر. صاحت إلسا: «توقف عن الجري، تعلم أنني سأقبض عليك عاجلاً أم آجلاً».

ردّ أوين بحسم: «يبدو من صوتك أنك متعبة».

صرخت إلسا محبطة، وقد حثّها غضبها بصورة أشد.

فكّر أوين ثم قال: «أبعد قليلاً فقط». ونظر إلى الخلف، ورأى أن إلسا أصبحت قريبة منه. فأبطأ سرعته، واستل سيفه من غمده.

ابتسمت إلسا وقبضت على حربتها بإحكام ثم قالت: «أوه، سأفجر رأسك».

ركض أوين لمسافة قصيرة، ثم ضرب سيفه باتجاه شجيرة إلى جانب يده اليمنى قاطعاً حبلاً كان قد وضعه في وقت سابق من اليوم.

شهقت إلسا: «مهلاً»، وأسقطت حربتها في الوقت الذي ارتفع فيه جسدها في الهواء مثل دب يغرف السمك من نهر.

توقف أوين وانحنى لالتقاط أنفاسه.

سُحبت إلسا، واحتُجزت في شبكة عالياً فوق رأسه.

شعر أوين بالارتياح عندما رأى أن الفخ الذي نصبه حقق الغاية منه بنجاح.

صاحت إلسا: «أخرجني من هنا أيها الزاحف».

نظر أوين إلى أخته في الأعلى وابتسم قائلاً: «لا أعتقد ذلك».

واصلت إلسا الصراخ: «سأنتزع أحشاءك مثل غزال، سأنتف شعرك مثل طير بري».

قاطعها أوين: «أوه، حقاً؟»، التقط حربة إلسا وحرّكها بيديه متفحصاً الخشب الصلب وأكمل: «وكيف ستفعلين ذلك؟».

«انتظر حتى يصل الحراس إلى هنا، ستُهزم يا أوين، ما من أحد سينقذك، ما الذي ستفعله عندئذ أيها الذكي؟».

سألها أوين: «لم تنتبهي إلى أين ركضنا، هل انتبهتِ؟ لن يجدوننا، وإن فعلوا، فسأسمعهم قادمين، وسأغادر. لذلك الخيار لك، إما أن تنصتي إليّ أو أن تنتظريهم. ربما سيجدونك، وربما لا. الخيار لك، وأمامنا النهار بطوله».

«حسناً، إذا أصغيتُ، فهل ستقطع الحبال وتنزلني؟».

«أعتقد أنه سيتعيّن عليك الإنصات إليّ، وبعدها نقرر، لا أظن أن هناك مشاغل تنتظرك».

صرخت إلسا: «أكرهك».

«هل تظنين أنه من المناسب أن تتحدثي إلى أخيك بهذه الطريقة؟».

صرخت إلسا، وهزّت الشبكة المعلقة مثل حيوان غاضب محتجز في قفص.

قال أوين: «حسناً، اهدأي، وأصغي، أعدك أنني سأحررك في غضون دقائق».

ردّت إلسا هازئة: «تحدث، أنهِ الأمر بسرعة».

«لقد تحدثتُ إلى والدتنا عن الماضي؛ عنك، وعن والدنا؛ وأخبرتني أن الملك الشرير ليس والدنا».

صرخت إلسا: «أنت تكذب».

ردّ أوين غاضباً: «ليس لديّ وقت لترهاتك، اسمعي وافهمي، وإلا سأتركك هنا لتتعفني، ربما تشم الغربان رائحتك بعد أيام، وتُعمل مناقيرها فيك». ومشى مبتعداً.

«لن تجرؤ على تركي، توقف عن التهديد».

ضحك أوين قائلاً: «حسناً، أراك لاحقاً»، ثم لوّح وأخذ يركض صوب الأجمة.

صرخت إلسا: «أياً يكن، أعلم أنك لست جاداً».

راقبته يذهب، وأدركت أنه جاد، سيتركها معلقة، فصاحت: «انتظر. حسناً، سأصغي، من فضلك لا تتركني هنا».

عاد أوين إليها ببطء، نزع خوذته، وجلس على جذع إحدى الأشجار الساقطة، وشعر بالغبطة لأنه يغيظ إلسا، فقد شعر أنه ينتقم منها على محاولتها قتله عندما التقيا للمرة الأولى.

شرع أوين قائلاً: «ذلك أفضل. لكن، يتعيّن عليّ سؤالك: لماذا تعتقدين أنني أكذب عليك؟».

لـم تـرد إلسـا، لكن بـدلاً من ذلـك حملقت بأويـن غاضبة فحسب من بين حبال الشبكة.

«انظـري، إننـي أخبـرك بالحقيقة، أخبرتنـي والدتي بالقصة. كنـتِ صغيـرة، وكانـت حاملاً بي، أصيب والدنـا بالمرض، كان مبعـوث الملـك الذي أُرغم علـى جمع الضرائب من قرية يعاني أهلهـا مـن وبـاء، عندمـا وصل، ورأى حالة النـاس، رفض جمع الضرائب، وبعد ذلك بفترة قصيرة، أصيب بالعدوى، ولم يعد إلى المنزل كي لا ينقل لكما العدوى، بعد أن شفي عاد، وأبلغ الملك أن المرض أنهك أهل القرية، ولم يكن بوسعهم دفع الضرائب، فغضب الملك، وأخذك من أمي، ولم يعلم أنها كانت حاملاً بي. بوسعنا التحدث إلى أمي، وستشرح كل شيء، إنها تريد رؤيتك، أرادتني أن أنقل لك مقدار شوقها لك».

ظلت إلسـا صامتة، لكنها توقفت عن هزّ الشـبكة، ثم قالت بصـوت خافـت: «لا يمكـن لهـذا أن يكون صحيحـاً». ثم انتابتها نوبة غضب جديدة وصرخت: «أنا لا أعرفك، فلماذا يفترض بي أن أُصدقك؟».

سألها أوين: «ما الذي يجعلني أتحمل عناء كل هذا إن كنتُ كاذبـاً؟ فكـرّي فـي الأمر، أنت تعرفيـن أننا أخوان قبلي، ما الذي أخبرك به الملك الشرير؟».

«قـال إنـه انفصـل عـن والدتنا قبل ولادتـك، ولكنه قرر ألا يتركك لها».

«حسناً، لنفترض أن كلامه صحيح، لماذا لم يأخذني عندما علم بمولدي؟».

فكّرت إلسا بسؤاله ملياً ثم قالت: «لعله ظن أنك لا تستحق أن تكون معه».

«ألا تعتقدين أن في الأمر شيئاً من الغرابة؟ فبعد مضي كل هذه الأعوام، وبعد أن أصبحت فارساً، وجد أنني أستحق أن أكون معه؟».

لم تعرف إلسا كيف تجيبه، في غضون ذلك أخفضها على الأرض، كانت تنظر إلى أخيها وهو يحل الحبل ببطء كي لا تصطدم بالأرض بسرعة وقوة.

أخيراً، عندما بلغت الأرض، مدّ يده لها، وابتسم لها بود، ثم قال: «دعيني أساعدك على النهوض».

نظرت إلى يده ثم إلى وجهه. وقفت بمفردها، ورفضت بتحدٍّ ما بدر منه.

تنحنت إلسا قائلة: «أنا أشعر بالارتباك، ولا أعرف لماذا يجدر بي أن أُصدقك».

نظر أوين إلى عينيها وخاطبها: «انظري إليّ، انظري إلى وجهي، وقولي لي إنني أكذب عندما أقول إن الملك الشرير ليس والدك».

فتحت إلسا فمها قليلاً أرادت أن تتكلم، لكنها لم تجد الكلمات المناسبة، أرادت أن تناقش أخاها وتتحداه، ولكنها شعرت برغبة بالإصغاء إليه والوثوق به.

«عندما تقاتلنا عند النهر، لم أكن أعلم أنك أختي، وكنت أستطيع المضي قدماً وتركك تغرقين، ولكنني أنقذتك، بالرغم من أنك كنت تسعين إلى قتلي، انظري مباشرة إلى عينيّ، وقولي إنك لا تثقين بي، وقولي إنك لا تشعرين برابط الدم الذي يجمعنا، نحن أخوان، وأنت لستِ شخصاً سيئاً، فكّري بالفظائع التي أقدم عليها الملك، ونهبه للقرويين من أجل تحقيق مآربه الشخصية. أنا أعلم أنك ما كنت لتوافقي على أفعاله لو أنه لم يسيطر على أفكارك». سألها أوين: «برأيك لماذا لم يرسلك إلى القرية بدلاً من كوبينغر؟».

حاولت إلسا أن تجيب: «أنا لا...».

«لأنه يعرف أن القرويين سيعرفونك ما إن يرونك، ألا يبدو كلامي منطقياً؟».

«لا أعلم». بكت إلسا، لم يعد بوسعها النظر إلى عينيه، لذا ابتعدت عنه، وأولته ظهرها، انهمرت دموعها وقالت: «لا أستطيع أن أصدق أنه كان يكذب عليّ طيلة هذه السنوات».

مدّ أوين الحربة صوب إلسا وقال لها: «حسناً خذيها». وخلع خوذته ورمى بها أرضاً.

قالت وهي تبكي: «ما الذي تفعله؟ هل أنت مجنون، سأقتلك».

«إن كنت واثقة أنني أكذب، هشمي رأسي واقتليني، وأفرحي والدك».

تناولت إلسا الحربة، وناورت بها بين يديها تمهيداً لضربه

بهـا، شـعرت بالتشـويش في عينيها، ثم توقفـت على هذه الحال لثـوانٍ، والتـي بـدت لأويـن أطول بكثيـر. في النهايـة، أخفضت الحربة.

همست: «لم أعد واثقة من شيء الآن».

«اسـمعي، من فضلك عودي معي وتحدثي إلى والدتنا، أنا بحاجة لمساعدتك يا إلسا. يحيق الخطر بأوثغار، ويستحيل عليّ إنقاذه بمفردي، ولا أدري إن تأخر الوقت، فكل ما أريده منك هو أن تستمعي إلى والدتنا، تحدثي إليها لتعرفي حقيقة من تكونين».

ارتعشت إلسا وهي تسأله: «أين هي والدتنا؟».

«إنهـا فـي القريـة، تقيـم عند أحـد الأصدقاء، لـم يعد منزلنا بجوار أوثغار آمنا».

قالت إلسـا بصورة مفاجئة لأوين: «أعلم. كثيرة هي الأمور التي علينا أن نتحدث بشأنها».

«هل ستأتين معي لرؤية والدتنا؟».

ردت إلسا بهدوء: «نعم. لكن إذا كان هذا نوعاً ما من...».

قاطعها أوين: «أعدك، كله صحيح». ثم مدّ لها يده في بادرة سلام. في البداية، ترددت إلسا، ثم صافحت يد أوين بغرابة.

12

وثب أوين داخلاً مطبخ غريتشن، وبدا فخوراً، وقد ارتسمت الابتسامة على شفتيه وقال: «لديّ أخبار جيدة يا أمي».

نهضت ستيفاني عن كرسيها غير مصدقة ما سمعته، لقد وقفت إلسا إلى جانب أوين، وبدت حائرة وخائفة وغير مرتاحة، صحيح أن ستيفاني فقدت ابنتها منذ سنوات، إلّا أنها تمكنت من التعرف إليها، فما كان منها إلا أن شرعت بالبكاء.

نشجت: «صغيرتي...»، ثم غطت فمها براحة يدها، كانت ستيفاني تتوق لاحتضان فتاتها، ولكن النظرة التي اعتلت وجه إلسا ألجمتها، فقالت: «لقد أصبحت كبيرة، لقد مرّ وقت طويل، فأنا لا أصدق أنني أراك».

ردّت إلسا: «أه... مرحباً».

كسرت غريتشن التوتر في الغرفة عندما قالت: «حسناً، عليّ أن أترككما لتعاودا التعرف إلى بعضكما، لقد طلب مني توم أن أذهب إليه لأساعده في إعداد بعض المخبوزات، يبدو أن لديه طلبية ضخمة هذا الأسبوع، وهو يواجه صعوبة في تحضيرها». قهقهت، وغمزت أوين، ثم قالت له وهي تغادر الغرفة: «تسعدني

رؤيتك مجدداً أيها الفارس الأزرق».

ابتسم لها أوين، ومن خلال تجارب الماضي، كان يعرف أن تجاربها طوال حياتها أكسبتها الحكمة، وأنها تعرف أكثر بكثير مما تقول.

سأل أوين: «حسناً، ألا تعتقدان أن الوقت قد حان لنحظى بمحادثة طويلة؟».

قالت ستيفاني: «بلى، من فضلكِ اجلسي يا إلسا»، وسحبت لها كرسياً لتجلس قبالتها ثم أردفت: «كثيرة هي الأمور التي يجب علينا التحدث بشأنها».

«حسناً، تمهلي قليلاً»، حتى الآن لم تكن إلسا واثقة أن أوين أخبرها الحقيقة، «طيلة الأعوام الخمسة عشر الماضية، عشت في القلعة. لا أعرف إن كان يجدر بي تصديق أي شيء، تكلمي، وأثبتي لي أن الملك ليس والدي، واحذري، إن كانت هذه حيلة، سوف...»، توقفت، وهي لا تعرف ما يجدر بها أن تقول، ثم تابعت: «قال أوين إن والدي مات، وأن الملك انتزعني منك، وهذا نقيض القصة التي أخبرني بها الملك».

«ما يقوله أوين صحيح يا إلسا. لقد عانيت طيلة خمسة عشر عاماً، وكنت آمال أنك لا تزالين على قيد الحياة، وها أنا أراك. عندما أتى الملك ورجاله وانتزعوك مني، انهرت، فاعتنت بي غريتشن، وحرصت ألا يؤثر حزني واكتئابي على الجنين الذي كنت حاملاً به. فمن حسن الحظ أنها كانت إلى جانبي طيلة تلك السنوات. لم يندمل جرح الفراق، لقد بلسمتْ رؤيتك مجدداً

جراحي». مدت ستيفاني يديها عبر الطاولة، واحتضنت يدي إلسا، إلا أن إلسا سحبت يديها ببطء عندما شعرت أنها غير مرتاحة.

قالت ستيفاني: «آسفة. أعلم أن هذا صعب عليك».

غيّرت إلسا الموضوع بسرعة وقالت لها: «أخبريني عن والدي الحقيقي».

«كان رجلاً رائعاً. لم يحترم الملك قط، لكن لم يكن لديه خيار إلا أن يكون مبعوثاً له، وكانت وظيفته تقتضي الانتقال من قرية إلى أخرى، وتلاوة أوامر الملك، وكان يُكلَّف بين الحين والآخر بالقيام بأعمال لا تروق له، وعندما كان يرفض، كان الملك يوسعه ضرباً ويهدده. والدك كان عزيز النفس أبياً، ولكن عجزه أمام جبروت الملك حطمه نفسياً، وازدادت الأمور سوءاً عندما عين اللورد كوبينغر ضابط ارتباط لدى الملك، والذي واظب بدوره على إذلال والدك».

سأل أوين متفاجئاً: «مهلاً، هل كان الناس يسيئون معاملة والدي أيضاً؟».

«نعم، وهذا طبيعي، كلما تقلصت صلاحياته، كلما أساء الناس معاملته. لم نعامل بإنصاف قبل أن تظهر بزي الفارس وتعيد الأمور إلى نصابها».

ردّ أوين: «هذا مؤلم للغاية»، وشعر بالفخر والتقبل في آن واحد.

سألت إلسا: «لماذا لم يحاول أبي التصدي للملك ومنعه من أخذي؟».

«عندما أُرسل والدك إلى لافيت، غدا ضعيفاً للغاية بعد العدوى التي التقطها هناك، وبالكاد امتلك الطاقة لتناول الطعام، وحتى إن لم يكن مريضاً، فما كان ليستطيع التصدي للملك ورجاله الكُثر. لقد كنت يا إلسا قرة عين والدك، فعندما كان يعود إلى المنزل من رحلاته الطويلة، كان يجلس معك على الأرض لساعات، ويداعبك، ويقص عليك قصصاً ما قبل النوم، بالرغم من أنك كنت صغيرة، وما كنت لتفهمي كلمة مما يقوله، ومع ذلك، كنت تحدقين إليه مبتسمة».

«هذا أشبه بحلم، كيف يفترض بي تصديق هذا؟».

سألها أوين: «هل تتذكرين شيئاً عن طفولتك؟».

«نعم، لقد كان الملك كثير الانشغال، ولم يكن لديه الوقت للعب معي، اعتنت خادماته بي إلى أن غدوت كبيرة بما يكفي للبدء في التدرب. هذا كل ما أذكره عن طفولتي، أعلم أنك أمي لأنه أخبرني بذلك، ولكنه قال إنكما تشاجرتما، وطردك من القلعة»، حرّكت إلسا يدها كما لو كانت ترمي شيئاً من يديها، «لا أتذكر حتى امتلاك أي دمى، باستثناء حصان خشبي، لكن حتى تلك الذكرى ضبابية».

انتصبت ستيفاني مذهولة وهمست بحماسة: «الحصان، انتظرا هنا، سأعود حالاً».

سأل أوين: «ما الأمر؟». لكن ستيفاني كانت قد غادرت الغرفة، وبعد لحظة عادة مبتسمة.

قالت: «تفضلي، كان هذا لك»، وقدمت لإلسا حصاناً خشبياً.

إنه دمية يدوية الصنع، ترك الزمن آثاره عليها، فقد حرقت أجزاء غير قليلة من الذيل والقائمتين الخلفيتين. ثم أضافت: «عندما أمر الملك رجاله بتدمير القرية، لم أعثر سوى على هذه الدمية بين الأنقاض، وبكيت عندما وجدتها، فهي آخر شيء من أثرك، فاحتفظت بها».

قبِلت إلسا ببطء دمية الحصان، ومررت أصابعها على رقبة الحصان الخشبي، كانت ستيفاني تنظر إلى ابنتها عندما لاحظت بريقاً في عيني ابنتها، وأملت أن تكون بسبب تذكرها.

همست إلسا: «لقد شعرت بهذا من قبل»، أمسكت بالدمية بلطف بكلتا يديها وارتعشت كما يرتعش المرء عندما تلامس نسائم الشتاء الباردة بشرته، «أنا أتذكر هذا».

رفعت إلسا رأسها، ونظرت إلى أوين أولاً، ثم إلى ستيفاني وسألت: «كيف يمكن هذا؟».

«إنني أخبرك بالحقيقة يا إلسا. هذه الدمية لك، لقد نحتها لك والدك الحقيقي، وعانى كثيراً في نحتها»، ضحكت واسترجعت باستمتاع ذكرى زوجها، ثم أضافت: «لم يكن عظيماً في النحت، لكنه قال إن صغيرته تحتاج إلى حصان، ولم يكن لديه المال لشراء واحد، فلم يجد طريقة أخرى لجلب حصان لك سوى نحته».

لاحظت إلسا الابتسامة التي ارتسمت على شفتي والدتها، وبدت صادقة لا ريب في ذلك. في تلك اللحظة، عرفت أن ستيفاني كانت تقول الحقيقة، لذا قالت: «أتذكر الحصان، أنا أصدقك».

«أريدك أن تفكري في شيء آخر يا إلسا، منذ فترة قصيرة، عندما أتى كوبينغر بحثاً عن أوين، وأخذني رهينة إلى القلعة»، سألتها ستيفاني: «أتتذكرين ذلك؟».

ردت إلسا: «نعم، لم يسمح لي الملك برؤيتك، طلبت من الحرس التحدث إليك، أردت رؤية وجهك، لكنهم رفضوا السماح لي بذلك».

قالت ستيفاني بحدة: «هذا هو سبب منعه لك عني يا إلسا. لم يرد أن تعلمي الحقيقة. هذا هو سبب أنك لم تُرسلي قط للقيام بأعماله في القرية. الملك شرير، وكاذب، ولص».

تثاءبت إلسا وقالت: «أنا متعبة، أحتاج إلى قسط من النوم، كان يوماً طويلاً للغاية». ألقت برأسها على ذراعيها.

فجأة، لاحظت ستيفاني شيئاً فضياً يتدلى من عنق إلسا وهو يلمع، فسألتها ستيفاني: «إلسا؟ هل يمكنني رؤية السلسلة التي تطوقين بها رقبتك؟».

قالت إلسا بصوت مكتوم، في الوقت الذي كان فيه رأسها مستلقياً على ذراعيها: «ماذا؟».

مدّت ستيفاني يدها إلى عنقها، ونزعت سلسلتها، مخفية القلادة داخل يدها ثم سألتها: «هل تتذكرين من أين حصلت على سلسلتك؟».

انتصبت إلسا مجدداً ونظرت بارتباك إلى والدتها.

«سلسلتي؟ لا أعلم، لطالما امتلكتها فحسب»، ثم سألتها: «لماذا تريدين رؤيتها؟».

«ينتابني الفضول حيال شيء ما فحسب. انزعيها من فضلك».

في البدء، بدت إلسا مترددة، إلا أن ستيفاني شعرت فجأة بموجة من المرح مثيرة للفضول. فكت إلسا المشبك، وسلّمت والدتها السلسلة والقلادة.

قالت ستيفاني: «شكراً لك. نعم، إنها مثلما اعتقدت تماماً. ما الذي تعرفينه عن هذه القلادة يا إلسا؟».

«لا أعرف الكثير، إنها معي منذ زمن، لم تفارقني أبداً، لا أعرف ما هي، ولكنني أعرف أنني أحبها». سألت إلسا، وهي تشعر بشيء من الحرج: «إنه أمر سخيف، هاه؟».

«لا، ليس سخيفاً على الإطلاق. سبب حيرتك هو أنها غير كاملة. إنك تفتقدين إلى قسم منها».

«ماذا؟ كيف تعرفين ذلك؟».

«لأنه»، ابتسمت ستيفاني، «لديّ النصف الآخر».

فتحت ستيفاني يدها، وأظهرت قلادة فضية تخصها، الفضة اللامعة نفسها كالتي مع إلسا.

«عندما وُلدتِ، طلبت من صديقة لي أن تصنع هذه، نصفاً لك ونصفاً لي، احتفظت بالنصف الخاص بك حتى ذكرى مولدك الثانية، ثم منحتك إياه، يذهلني أنك احتفظت بها طيلة هذا الوقت، يميل الصغار إلى تحطيم أي شيء بهذا الصغر»، ثم أردفت: «أياً يكن الأمر، عندما تأخذين كلتا القطعتين وتضعينهما معاً، هكذا»، حركت قطعتي القلادة بيديها إلى أن أصدرتا فرقعة خافتة، «تشكلان شيئاً كاملاً». مدت ستيفاني يدها المغلقة لإلسا

التي قبِلت بتردد قطعتي الفضة اللتين بدتا الآن معاً كما لو أنهما قطعة متماسكة واحدة.

همست إلسا: «إنها جميلة».

«إنها أنت يا إلسا. حسناً، يفترض أن تمثّل ما فكرت فيه حيالك. إنها تاج».

نظرت إلسا إلى القلادة، كان بوسعها رؤية كيف تخاوى الجزءان معاً لتشكيل النقاط في القطعة المزينة بالحليّ بالغة الصغر. سابقاً، كانتا مجرد تصميم مثير للاهتمام، لكنهما انضمتا الآن لتشكلا معاً شيئاً أكثر مَلَكية بكثير.

«إنها جميلة. ولكن، لماذا تاج؟».

«عندما تحمل أي أم طفلها بين ذراعيها، فإنها تنظر إلى ذلك الوجه كشيء مَلَكي، رقيق، ومع ذلك، مثالي للغاية. أردت تاجاً ليمثّل ما فكّرت فيه حيالك، أميرتي. نعم، إنه ما تفكر فيه كل أم حيال ابنتها، لا أخجل من قول ذلك مهما بدا سخيفاً، عليك أن تفهمي يا إلسا، لم أعنِ قط خسارتك. إن الأمر كما لو أن القلادتين نحن؛ لقد انفصلنا لفترة، ولكن القدر أعاد لمّ شملنا».

حاولت إلسا حبس دموعها، وقد راقب أوين مجرى المحادثة بين أمه وأخته، وترقرقت الدموع في عينيه، ولاحظ أن تغييراً طرأ على أخته، كما لو أن ثقلاً لا يصدق قد رُفع عن كاهلها، ثقلاً كانت تحمله لمدة طويلة للغاية.

أذعنت إلسا لعواطفها وتركت دموعها تنهمر، ثم نشجت قائلة: «أصدقك».

بدا أوين متفاجئاً وسعيداً عندما سأل: «ماذا؟».

«أصدقك، لطالما عرفت أن هناك خطباً ما، لم يسمح لي الملك أبداً بمغادرة القلعة، ولم يسمح لي بالتحدث إلى أحد وتكوين الصداقات، لقد أرادني معزولة، وعندما كنت أسأله عنك، كان يغير الموضوع بسرعة، لقد عشت طيلة هذه السنوات في كذبة كبيرة، ولكنني الآن أشعر أنني أمتلك عائلة حقيقية».

نهضت ستيفاني عن كرسيها، وتحركت حول الطاولة لاحتضان إلسا.

همست ستيفاني: «لقد عادت الأمور إلى نصابها، وها أنت في منزلك»، بدورها احتضنت إلسا والدتها، وأطلقت العنان لمشاعرها للمرة الأولى في حياتها.

قاطعهما أوين في الوقت الذي نظرتا فيه إليه قائلاً: «مهلاً، انتظرا لحظة». ادعى أنه يشعر بالإهانة، «لماذا لم أحظَ بقلادة؟».

قالت إلسا وهي تلكم ذراعه: «إنك تُفسد لحظة عظيمة».

أنّ أوين: «آوتش».

13

تجشأ القزم بسعادة منحنياً وقال: «تحياتي سموك»، في الوقت الذي اقتربت فيه إلسا من بوابة قلعة الأقزام المذهّبة في الجبال.

«مرحباً. يا إلهي، يا له من مبنى رائع، أشد إشراقاً بكثير من الجدران الرمادية التي اعتدتها».

ردّ القزم الثاني باقتضاب: «شكراً لك، إنها أجمل القلاع التي بنيناها نحن الأقزام».

«من المذهل التفكير في أنكم كنتم قادرين على نحت جدران من الصخور، من الواضح أن البشر لا يستطيعون القيام بأمر مماثل»، سألت إلسا: «ولكنني أتساءل، بما أنكم فتحتم قمة الجبل وهذا المدخل الأمامي، فهل هذا الطريق الوحيد لدخول القلعة؟ يبدو أنه إذا ما هاجم أحد الأعداء، فلن يكون هناك سبيل إلى الهرب إذا ما ساءت الأمور».

تباهى القزم الأول: «لا يا سيدتي، لدينا ممرات عديدة أسفل الجبل تقود إلى جميع أرجاء هذه المنطقة». حملق به شريكه بسخط منزعجاً.

تدخل الحارس الثاني سريعاً وقال: «بالطبع، تلك الممرات لا يعرفها الأقزام الجدد على هذه المنطقة، كان أسلافنا يمتلكون معرفة كاملة بالأنفاق، أما نحن فلا».

ردّت إلسا: «فهمت. حسناً، عليّ المضي قدماً، لعلي أقوم بجولة في وقت ما».

انحنى الحارس الأول وقال: «ستكون تلك مناسبة ميمونة، سموك».

ابتعدت إلسا عن القزمين وفكّرت.

كان أوين مختبئاً، ويصغي إلى المحادثة، وأمل أن تستطيع إغواء القزمين للابتعاد حتى يتسنى له الدخول من دون أن يُلاحظا، لكن بدا أنها لم تتكبد عناء المحاولة.

عندما اقتربت إلسا، نظر إليها أوين منزعجاً. وسألها: «ما الأمر؟».

«ما الذي تعنيه؟ حصلت على بعض المعلومات القيّمة للغاية».

قال أوين بصوت مبحوح: «لا، لم تفعلي، كان بوسعي إخبارك بوجود أنفاق تحت الأرض. لقد أخبرني أوثغار عنها».

ابتسمت: «بالتحديد».

«ما الذي تعنينه بالتحديد؟».

سألت إلسا: «هل أخبرك بمكانها بالتحديد؟».

«لا لم يخبرني عن مكانها بالتحديد، ولكنني أعلم أنه كان

يأتي عبر الممر والسلالم التي تقود إلى كهفه، لكنه دائماً ما ذهب من خلال ممرات القلعة عندما أراد التجول تحت الأرض، ولكنني لا أعلم بمكان أي منها».

«هل تظن أن لديه خرائط؟».

ضحك أوين: «أنت عبقرية، وأنا متأكد من أننا نستطيع إيجادها في مكان ما في كهفه، هيا بنا نتجه إلى أعلى الجبل وننظر».

تذمرت إلسا قائلة: «ولكن من الأسهل أن أدخل إلى القلعة، واكتشف مكان أوثغار بنفسي، إنني أعتقد أن ذلك أجدى من إهدار الوقت في البحث عن الخرائط».

شرح أوين: «يبدو أنك نسيت أنك مفقودة، وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الأقزام ذلك، وسيأتي رجال الملك بحثاً عنك، فكيف ستبررين لهم وجودك هنا».

تنهدت إلسا قائلة: «حسناً، نقطة جيدة».

مازحها أوين بسؤاله: «مهلاً لحظة، هل تعترفين أنني على حق؟».

ردّت إلسا: «لا تتفاخر بنفسك عليّ أيها الرأس الملحم».

«الرأس الملحم؟ هذا أفضل ما لديك؟».

سألته إلسا وهي تسحب الحربة من خلف ظهرها: «لعلني سأدع حربتي تتحدث. ما رأيك؟».

رأى أوين، الذي أخذ يركض، النظرة في عيني إلسا، وظن أنها جادة، إلى جانب ذلك، لم يكن مرتاحاً بشأن الأفكار التي

تراوده بشأن مصير أوثغار، ركض الاثنان عبر الجبل إلى الدرب الذي سبق لأوين أن تسلقه عدة مرات، فانتابه القلق من أن الحراس ربما يعرفون منزل أوثغار. أياً يكن الأمر، بعد رحلة سريعة على طول الجبل، وجد أوين المدخل المموه، ولحسن الحظ، لم يكن أحد قد مس ورشة الحدادة.

قالت إلسا وهي تلهث بعد أن ركضت خلف أوين حتى بلغا أعلى الجبل: «واو! هذا رائع». من الواضح أن جسدها لم يكن قادراً على التحمل مثل جسده، وفكر أنه سيحتفظ بذكرى هذه اللحظة ليواجهها بها في وقت لاحق.

«هذه ورشة الحدادة، وهذا الطريق يقود إلى مسكنه»، لوّح أوين بيده مشيراً إلى إلسا لتلحق به.

عندما بلغا الباب الذي يؤدي إلى المطبخ، فتحه أوين ببطء، ثم شعر بالارتياح عند رأى أنه لم يُعبث بشيء.

شرح أوين ما احتوته كل غرفة، وشعر بالارتياح داخل المسكن؛ ارتياح لم يشعر به عندما عاش في القرية بصرف النظر عن كونه البيت الذي ترعرع فيه.

«هذه غرفتي. أسرّة أوثغار مريحة، أنا أحب هذا المكان».

سألت إلسا مشيرة إلى شكل معدني صغير على الطاولة إلى جانب سرير أوين: «ما هذا؟».

التقطه أوين وأراه لأخته: «هذا أنا. حسناً، من دون اللون الأزرق بالطبع».

سألت إلسا مذهولة: «واو! هل أنت من صنعه؟».

«لا، أنا لا أمتلك هذه المهارة، لقد صنعته كايا من أجلي. أليس جميلاً؟».

«كايا؟ تعني ابنة راغازار؟».

ردّ أوين بحزن: «نعم».

«كنتما مقربين، أليس كذلك؟».

أجابها أوين محمرّ الوجه: «لقد أصبحنا صديقين مقربين خلال فترة تعرفنا القصيرة، ولأكون صريحاً، ليس لديّ صديق سواها باستثناء أوثغار».

بدورها قالت ببطء: «حسناً، في الواقع، أنا لم أحظَ بأي أصدقاء».

«ماذا؟ ما الذي تعنينه؟».

«لم يسمح لي أبي»، كبحت نفسها، «أقصد لم يسمح لي الملك بالتواصل مع أحد عدا مدربي وخادماتي، فلم يكن لديّ من ألعب وأتسلى معه».

ابتسم أوين مشجعاً وقال: «حسناً، عندما ننتهي من هذا كله، سنوسع أنشطتنا قليلاً».

«من المؤكد أن ما أقوله غير منطقي، ولكنني أشعر بالجو الاجتماعي، فقد ظهر لي أخ وأم، ولكن كايا قزم».

سألها أوين: «نعم، وما الخطب في ذلك؟».

«ألا يبدو لك من الغريب أنكما تنسجمان معاً؟». لم تكن إلسا متأكدة كيف تعرض وجهة نظرها.

«لا، في الحقيقة، كان الانسجام مع أوثغار صعباً وغريباً،

ولكن لم يمضِ وقت طويل قبل أن أعرف أن الأقزام يشاركوننا المشاعر نفسها التي أشعر بها أنا وأنت، حتى إن كايا بدت مختلفة عن كل الفتيات اللواتي سبق لي أن تعرفت إليهن». شرعت وجنتا أوين تتوردان.

سألته إلسا: «من أي ناحية هي مختلفة؟».

«في الحقيقة، لم أكن على علاقة بالكثير من الفتيات لأقارنها بهن، لكنها قوية، وفي الوقت نفسه حساسة وذكية أيضاً. إنني وإياها في العمر نفسه، ولكنها تبدو أكثر اطلاعاً ومعرفة مني، إنها تبدو أكثر نضجاً وكأنها تكبرني بسنوات، يصعب عليّ شرح الأمر، ولكنها لطيفة جداً».

مازحته إلسا قائلة: «لطيفة ها؟ أنت معجب بها. واو! أخي مغرم بقزمة، يا لها من فوضى تكتنف حياتي!». ضحكت إلسا.

أصر أوين قائلاً: «مهلاً، أنا لست مغرماً بها، كل ما في الأمر، نحن صديقان».

«لا يسعني أن أصدق هذا، فأنت مغرم بقزمة كريهة الرائحة». ما كانت إلسا لتدع أوين وشأنه، خاصة وأنها تحظى بالمرح.

«اصمتي»، احمرّ وجه أوين وثخن صوته، «ليست كريهة الرائحة، وأنا لست مغرماً بها، توقفي عن إضاعة الوقت، علينا العثور على الخرائط».

شعرت إلسا بالغضب يتصاعد في نفس أوين، فمن الجلي أنه لم يرد أن يزعجه أحد بشأن كايا، فقررت إلسا التوقف عن

إزعاجه عندما تيقنت أنه مغرم بها، ثم قالت: «حسناً، حسناً. كنت أمزح. أنت محق، لدينا أمور أكثر أهمية لنركّز عليها».

قال أوين: «غرفة أوثغار في الرواق، فلنبدأ هناك».

غادر الغرفة وقد شعر بإحساس من الخدر لم يسبق له أن شعر بمثله، كان قد قضى وقتاً طويلاً بمفرده، رغم أنه كانت أمامه مهمة شاقة، جعلته معرفة أن إلسا كانت إلى جانبه يشعر بالراحة. كان سعيداً، مع ذلك وفي الوقت نفسه، انتابه شعور بالقلق يقبض الصدر بشأن كايا.

وجّهها أوين قائلاً: «لنتحقق من منضدته، إنها ضخمة، تحققي أنت من تلك الأدراج، وسأتحقق أنا من هذه».

«يا رجل، إنه يحتفظ بالكثير من الأشياء. سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً، هذه المنضدة جميلة إلى حدّ كبير. أتساءل من أين حصل عليها».

أعجبت إلسا بقوائم المنضدة كثيرة التفاصيل، وبالطريقة التي بدا أن السطح الخشبي يبرز بها من القمة والنقوش في المقابض، بدت لها المنضدة وكأنها كائن حي يتنفس.

«لقد صنعها أوثغار. لقد صنع كل شيء هنا».

تأملت إلسا قائلة: «حقاً؟ ذلك لا يصدق».

قلّب أوين الأوراق سريعاً ورقة إثر ورقة، باحثاً عن أي شيء أشار إلى خرائط وأجابها: «نعم، إنه موهوب جداً. لقد تعلمت منه الكثير».

سألته إلسا وهي تشعر بالخزي لأنها تقول ذلك: «أيزعجك

أنه... مختلف؟ أعلم أنه سبق لنا أن تحدثنا عن كايا، لكن يصعب للغاية عليّ أن أفهم».

ردّ أوين: «أتعنين لأنه قزم؟».

تورّدت إلسا وردت: «نعم، إنهم شديدو... الغرابة».

«إنهم كذلك، ولكن نحن بدورنا غريبون بالنسبة إليهم، لقد تعلمت أمراً مهماً منذ أن غدونا صديقين، هو أنه لا يمكنك فهم أحدهم حقاً إلى أن يتسنى لك معرفته في الواقع. إذا فكرت في أي من القصص التي سمعتها عنهم، فلطالما كنا نحن البشر على صواب وكانوا على خطأ، لقد وصفوا بالأشرار الأنانيين. لقد تعلمت أنك تحتاجين حقاً إلى الإصغاء إلى الجميع، وسماع وجهات نظر الجميع. وقبل أن تتخذي قراراً، فليس كل ما يسمعه المرء أو يقرأه صحيحاً»، سألها أوين: «هل تفهمين ما أقصد؟».

«أتسألني ذلك حقاً؟ انظر إلينا الآن، لطالما قيل لي إنك عدو، وها نحن الآن نعمل معاً لإنقاذ قزم»، تكلفت إلسا الابتسام وأكملت: «ذلك النقيض الكامل لكل شيء أُخبرت به من قِبل الملك»، مازحته، «من كان يعلم أنني أمتلك أخاً بهذه الحساسية؟».

«نعم، حسناً، لا أكون حساساً على الدوام، لا أزال عاجزاً عن إيجاد أي شيء جيد في الملك. أتعلمين؟ لم أخبر أحداً بهذا قط، خاصةً أمي، إلا أنني أعلم أنه في نقطة ما سيتعين عليّ مواجهته. يخيفني ذلك كثيراً».

«بوسعي تخيل ذلك. لقد أمضيت بعض الوقت معه، ولكن،

إذا كان ذلك يساعد، فسأكون هناك معك».

قال أوين آملاً في أن توافقه إلسا: «ذلك يساعد بالفعل. على الأقل، ربما تستطيعين التحدث إليه بالمنطق»، رغم أنه في أعماقه كان يشك في أن أي شخص يستطيع القيام بذلك.

ضحكت إلسا قائلة: «ها. سنرى».

بحثا بشكل محموم لبعض الوقت عبر اللفائف والمخطوطات الخشنة محاولين العثور على أي شيء بإمكانه إيجاد طرق بديلة إلى داخل قلعة الأقزام. شعر أوين بالغرابة لأنه يبحث بين أشياء أوثغار، وبدا بطريقة ما أنه ينتهك خصوصيته.

تمتم أوين همساً: «يستغرق هذا وقتاً طويلاً للغاية. كلما أمضينا وقتاً أطول هنا، كلما زاد احتمال أن نتأخر على أوثغار».

«واصل البحث فحسب، لا بد لنا من...»، توقفت كلمات إلسا على نحو مفاجئ كما لو أن لسانها قد تجمد داخل فمها، ولم يسمح للكلمات بالخروج.

ألقى أوين بالأوراق من يديه، ونظر إلى إلسا وسألها: «هل عثرت على شيء؟».

قالت إلسا متحمسة: «أعتقد ذلك»، تردد صدى صوتها في أرجاء الغرفة، «انظر هنا، ها هي».

اقترب أوين واتسعت عيناه. كانت إلسا تحمل في يديها الرسوم التفصيلية للعالم أسفل القلعة، وبدت قديمة جداً، ولا يزال الحبر الأسود والأزرق ظاهراً بشكل واضح، لأنه محمي أسفل الجلد الجاف المتشقق والمغبر.

قالت إلسا: «هناك كثير من الرسوم، سنحتاج إلى وقت طويل لنجد طريقنا. برأيك أي درب يفترض بنا أن نسلك».

قلّبت الأوراق ورقة إثر ورقة والتي احتوت على رسوم لأنفاق متعرجة، والتي كانت مرسومة بدقة، وتشير إلى الممرات وأنماط الصخور، ولم يكن بوسع إلسا وأوين فك شيفرتها.

«مهلاً، انتظري»، وضع أوين يده فوق ورقة محددة بحيث لا تفقدها إلسا بين الأوراق الأخرى.

«ها هي».

بدت إلسا مرتبكة وسألت: «ما الذي يميزها؟ إنها تبدو لي متماثلة، مثل قفير نحل عملاق».

ردّ أوين بحماسة: «بالضبط»، ثم سألها: «وما الذي يوجد في وسط القفير؟».

«الملكة؟».

«نعم. سنجد راغازار هناك، لذلك إذا استطعنا إيجاد شيء ما يبدو مثل زنزانة، فسنجد أوثغار. لنبدأ من هنا، تبدو لي هذه وكأنها زنزانة، أليست كذلك؟».

«بالفعل، إنها تبدو كذلك، إنها تبدو مثل صف طويل من الغرف المنفصلة، إنها زنازين»، بدورها شعرت بشيء من الحماسة أمام فكرة إحراز بعض التقدم وهي تعمل على هذه الأوراق القديمة، «تبدو هذه مثل بوابات. أعتقد أنك محق يا أوين، إنها زنازين على الأرجح».

فجأة، بهتت ابتسامة إلسا، وسيطر عليها الإحباط مجدداً

وأضافت: «لقد عثرنا على وجهتنا، إلّا أننا لا نعرف كيفية الوصول إليها».

قال أوين، وقد بدا جلياً أنه لم يفقد حماسته: «كل ما علينا فعله هو العمل في اتجاه عكسي. انظري، هذا هو المدخل، لنتبع هذا الخط، ولنر إلى أين يؤدي، وعندما نجد الطريق الأسرع للدخول، فسنعلم من أين نبدأ».

«فكرة عظيمة»، استعادت إلسا حماستها، وقالت وهي تسحب كرسياً: «هاك، دعنا نجلس، ونحل هذا».

جلس أوين إلى جانب أخته وقال: «دعينا نُعلّم هذه الصفحة بشيء ما حتى نستطيع العودة إليها إذا اضطررنا».

قالت إلسا وهي تجول بعينيها في أرجاء الغرفة: «فكرة جيدة، وانتزعت خيطاً من كم قميصها، «لنستخدم هذا».

استخدم أوين أحد أصابعه لتتبع الأنفاق من صفحة إلى أخرى. بدا أن كل ممر يتفرع إلى ممرين أو ثلاثة. سيكون من الصعب العثور على الطريق. قال أوين وهو يتتبع الطريق من صفحة إلى أخرى: «لنبحث عن الطريق الأكثر استقامة».

بعد أن وصلا لأكثر من مرة إلى طريق مسدود، وجد إصبع أوين أخيراً طريقاً مفتوحاً وقال: «تبدو هذه وكأنها غرفة العرش».

شجّعته إلسا قائلة: «حسناً، نحن نعرف الآن كيف نصل إلى راغازار».

«عندما نجد أوثغار، فلن نحتاج إلى هذه الخرائط، إنه يعلم أين نذهب تماماً. أنا أكثر قلقاً حيال إيجاده. حسناً، دعينا نعد إلى

الزنزانة، ونجد درباً آخر».

قلّبت إلسا الصفحات عائدة إلى الخيط الأرجواني الذي وضعته بين الصفحات وقالت: «لنعمل الآن بشكل معاكس».

تتبع أوين الأنفاق مجدداً محاولاً ألا يحيد أكثر مما ينبغي عن خط مستقيم. لم تكن مهمته سهلة. قلّبا الصفحات واحدة تلو الأخرى حتى وجدا أخيراً نفقاً يقود إلى الخارج.

همس أوين: «أعلم أين يقع هذا تماماً».

سألته إلسا متفاجئة: «حقاً؟».

«نعم، هذا هو النهر حيث...»، توقف وغيّر الموضوع سريعاً قائلاً: «حيث علمني أوثغار استخدام الشبكة لاصطياد الأسماك. لا أستطيع قراءة ما دوّن هنا، لكن يبدو أن هناك كهفاً مخبأً إلى الغرب قليلاً. أنا واثق أننا نستطيع إيجاده».

«حسناً، لكن بعد التقليب عبر هذه الصفحات، فكيف نجد الدرب نفسه؟ يتعين علينا تعليمه بطريقة ما».

«تعليمه؟ تعنين الكتابة على هذه الخرائط؟». شعر أوين بغصة في حلقه.

«أتريد إنقاذ أوثغار؟ لعلك تتوه في متاهة الأنفاق الحجرية تلك».

ازدرد أوين لعابه وقال: «أعتقد أنك محقة».

عثرت إلسا على قارورة من الحبر الأحمر وريشة، عاودت إلسا اقتفاء الدرب الذي وجده أوين سابقاً. وبحذر، نزعا الصفحات التي سيحتاجان إليها حتى يتسنى لهما ترقيمها

والسماح للحبر بالجفاف قبل قلب الصفحة. عندما جف الحبر، كانت إلسا على وشك أن تستبدل الصفحات بالصفحات الأخرى عندما أوقفها أوين.

«مهلاً. ماذا لو أضعنا هذه الصفحات بطريقة ما؟».

سألته إلسا: «ما الذي تعنيه؟».

«إذا أوقعناها أو أفسدناها، لا يمكننا إصلاحها، لذا علينا ألا نأخذ ما لا نحتاج إليه، وبذلك نضمن الحفاظ على الصفحات الأخرى».

«لم أفكر في هذا أبداً». فهمت إلسا أهمية حماية عمل أوثغار. لقد بدا جلياً وهما يبحثان عبر الصفحات مقدار الجهد والدقة اللذين بذلا في رسمها. لا بد أن ذلك قد استغرق ساعات، وأياماً، بل حتى أشهراً لإعداد مثل هذه التحفة. لم يعد ذلك مفاجئاً لإلسا بعد أن رأت كم هو دقيق كل ما صنعه أوثغار، لقد قدّرت الآن العناية والمجهود اللذين يبذلهما الأقزام في عملهم، وهو شيء يمكن للبشر التعلم منه.

حاك أوين برفق قطعة رقيقة من الجِلد عبر الثقوب الموجودة على جوانب الصفحات، ليربطها في مجموعة.

سألته إلسا: «أين تعلمت فعل ذلك؟».

«لقد رأيت أوثغار يقوم بذلك عدة مرات، إنه يحتفظ غالباً بمدونة ولديه هذه الشرائط الجلدية على منضدته من أجل ذلك»، مازحها أوين مضيفاً: «في بعض الأحيان أكون متيقظاً».

«رائع. الآن، دعنا نذهب وننقذ أوثغار».

14

«هذا جنون، كيف سنجد المدخل؟».

«تشير الخريطة إلى شجرة كبيرة، ليتني أستطيع قراءة ما كتبه القـزم»، تنهـد أوين، وقد توهج درعه عندما سـقطت عليه أشـعة الشـمس، وقد وضع إحدى يديه على رأسـه، وأمسـك الخرائط بالأخرى.

«علـى الأقـل يمكننـا تحديد المعالـم مثل تلك الشـجرة، لا أستطيع أن أُصدق كم هي دقيقة هذه الخرائط».

قـال أويـن: «هـذا هو أوثغار، لقـد تعلمت الكثير منه خلال فترة قصيرة، يبدو الأمر لي أنه لا يقدم على شيء من دون هدف، إنـه فخـور جـداً بعمله، سـواء أكان ذلك فـي الحدادة، أو تنظيف الأطباق، أو طهي الطعام، أو التدريب باسـتخدام الأسـلحة؛ إنه يقدم على كل شـيء بعزيمة لا تلين، فلا بد من احترام شـخص مثله».

قالت إلسا: «لا يقدم الملك على القيام بأي شيء بنفسه، بل يطلب من الآخرين القيام بالأعمال التي يريدها، ويستشيط غضباً عندما لا يصلون إلى مستوى توقعاته».

أشـار أوين إلى خطوط متعرجة بجانب الجسـر وسأل إلسا: «ما رأيك في هذا؟».

«لا أعرف، دعنا نتقدم ونرَ».

تقـدم أويـن الطريق وقال: «لا يفترض أن تكون بعيدة»؛ كان يتعثـر بحجـر كل بضـع خطوات. قال أويـن: «لا ينبغي أن يكون بعيـداً جـداً عـن هنـا. الشـجرة قريبـة، ومن الواضح أنها شـجرة الصنوبر الكبيرة التي تظهر هناك».

«مهلاً، انتظر، هناك». تجاوزت إلسـا أوين، وسـارت بضع خطوات صوب صخرة تغطيها التعريشـات، توقفت مباشـرة أمام الغطاء النباتي وقالت: «أعتقد أنني وجدت المدخل، عندما دفعت يدهـا أمامهـا، راقبت إلسـا الصخرة تتحـرك أمامها، وهذا ما أتاح لها أن تخطو خطوة إلى الأمام، توقفت وألقت نظرة على أوين، وما لبثت أن اختفت خلف ستار التعريشات.

تنفس أوين بعمق وتبعها.

بمجرد دخوله، استدار ونظر إلى الخلف متفاجئاً من العتمة داخل الكهف. لم يكن مستغرباً لماذا لم يعثر أحد على مثل هذا المدخل، فهو مخفي جيداً.

همس أوين: «أشعلي مشعلك».

ارتفعت شعلة ساطعة من أعلى مشعل إلسا.

قالـت قبـل أن تُخـرج مشـعلاً آخر من الحقيبـة التي جلبتها معها: «خذ». اعتمر أوين خوذته، وفتح الجزء الأمامي منها ليرى بشكل أفضل قبل أن يأخذ المشعل من إلسا.

لقد أعدا طعاماً، وجلبا قربة ماء لهما ولأوثغار.

قالت إلسا: «حاول ألا تُقرّب الخريطة من ألسنة اللهب، هذه الورقة قديمة وستتفتت بسرعة».

تقدم أوين وقال: «هيا بنا». كانت الجدران ملساء للغاية، وكان النفق أوسع مما توقع، وبين المسافة والأخرى وجدا مشاعل معلقة على الجدران، ولكنهما قررا ألا يشعلاها حتى لا ينتبه لها أي شخص يصادف أنه يعمل في الأنفاق فيكشف أمرهما.

همست إلسا وكان الخوف واضحاً في صوتها: «هذه الأنفاق مخيفة نوعاً ما، لا أصدق أن أوثغار يتجول عبرها بمفرده ليلاً، ومن المؤكد أنني لا أريد تقليده».

ضحك بصوت خافت وقال: «أعتقد أنه ما من شخص عبر هذا النفق منذ فترة طويلة».

تقدم أوين ببطء محاولاً أن يسمع صوت أي أحد بالجوار، فهو يعلم أنه إذا عُثر عليهما، فلن يستطيعا الهرب، وسيكون القتال صاخباً. أشار بيده اليسرى وقال: «يمكننا أن نسلك هذا الدرب».

سار أوين وإلسا لنحو ساعة عبر الأنفاق من دون أن يتسنى لهما رؤية النهاية.

همست إلسا: «تبدو الزنازين قريبة، من الأفضل إطفاء المشعلين، فلا بد من وجود حراس بجوار الزنازين، أو هذا ما كانت عليه الحال في قلعة الملك».

أطفأ أوين مشعله، ثم وضعه برفق على أرضية النفق، وفعلت

إلسا الشيء نفسه، ومدّت يدها إلى الأمام، وتمسكت بدرع أوين ليرشدها إلى الطريق، وامتنت أن معدن الدرع لا يتيح لأوين أن يشعر أنها ترتجف من الخوف.

كانا يتقدمان ببطء ليتجنبا إحداث أي ضجيج، ثم تشعب النفق إلى ممرين، وعرف أوين من الخريطة ومن الضجيج الصادر عن الحراس أن الزنازين تقع جهة اليمين، وبمجرد أن انكشف له الطريق، نظر من خلف الجدار ليلقي نظرة على ما ينتظرهما، فرأى قزمين يلعبان لعبة يستخدمان فيها حجارة مستديرة.

همس أوين لإلسا: «هناك قزمان».

عندما بدأ بفك سيفه، وضعت إلسا يدها على يده وأوقفته مبتسمة ثم قالت: «لن تحتاج إلى استخدامه». قبل أن تتاح له الفرصة ليناقشها، مضت إلى الأمام، فهزّ رأسه وتنهد بهدوء.

خاطبت إلسا الحارسين بحزم: «مرحباً يا شباب». توقف القزمان عن اللعب والمزاح واستدارا في الوقت نفسه.

قال أحد الحارسين وبدا مرتبكاً: «لا يفترض بك التواجد هنا».

سألته إلسا: «هل تتحدث إليّ».

تمتم القزم: «حسناً، أعني، آه...».

«ما يحاول زميلي قوله يا صاحبة السمو أننا لم نكن نتوقع زيارتك، لقد أُبلغنا أنك مفقودة. يسرني أن أراك سليمة وبصحة جيدة».

ردت إلسا: «أنا بخير»، واقتربت من الحارسين مضيفة: «لا

أظنكما حارسين حقيقيين».

نظر القزمان إلى بعضهما وعبسا، ثم فتح الأول فمه ليسألها عما تقصده بقولها هذا، فما كان منها إلا أن لكمت فمه وأسقطته أرضاً، كما لو أنه كيس من الدقيق.

احتج الثاني: «انتظري دقيقة»، ولكن قبل أن يتمكن من متابعة جملته، ضربته إلسا بمرفقها.

تذمّر أوين وهو يخرج من خلف الممر المظلم بأمان، وينظر إلى الحارسين قائلاً: «لقد تصرفتِ بسرعة».

«اضطررت إلى إبعادهما عن الطريق قبل أن يصدرا كثيراً من الضوضاء وينبها شخصاً آخر».

قال أوين: «صحيح»، ثم هزّ كتفيه، وفتش الحارسين بحثاً عن مفاتيح الزنازين.

صاحت إلسا: «ساعدني في سحبهما إلى زنزانة فارغة».

جرّب أوين المفاتيح التي حصل عليها من الحارسين، جربها واحداً تلو الآخر، حتى سمع صوت أحد الأقفال يُفتح، دفع الباب، فأصدرت مفصلاته الصدئة صوتاً عالياً، كما لو أنها تحتج على تحريكها.

لقد بيّنت الخرائط أن الأبواب المعدنية تفصل بين الزنازين الموزعة بالتساوي على جانبي الرواق، لقد صدم أوين عندما لاحظ أن هذا المكان يختلف تماماً عما اعتاد رؤيته من جمال الهندسة لدى الأقزام، لقد صنع الأقزام هذه الزنازين لتبدو قبيحة بقدر قباحة الزنازين التي رآها.

عندما شمت إلسا رائحة الزنزانة قالت: «الرائحة مقرفة جداً».

عثر أوين على مفتاح الزنزانة الأولى على الجانب الأيمن من الممر، وكان ممتناً لعدم اضطراره لسحب القزم الثقيل لمسافة أطول، فقال وهو يصر أسنانه: «سنضعهما معاً هنا».

لم يستغرق الأمر سوى دقائق لنقل الحارسين إلى الزنزانة، ثم أغلقت إلسا الباب، وصفقت مرتاحة وهي تقول: «لنذهب في هذا الاتجاه ونعثر على أوثغار».

قال أوين: «تحققي من هذه الجهة، وسأتحقق من الجهة الأخرى».

لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً من إلسا لتكتشف قزماً في زاوية الزنزانة، وذلك عندما نظرت من خلال النافذة الصغيرة لباب الزنزانة.

عندما فتحت الباب، وجدت قزماً أشيب الشعر، يسند رأسه على الجدار البارد، فقالت: «أعتقد أنني وجدته يا أوين».

أسرع أوين الخطى نحوها، ونحاها جانباً، وقال عندما رأى صديقه: «أوثغار».

كاد قلبه يتوقف من شدة الانفعال وهو يجرب المفاتيح التي بحوزته، كانت أصابعه ترتجف مثل ورقة شجر في مهب الريح، وفي النهاية، عثر على المفتاح الذي يفتح باب زنزانة صديقه. استيقظ أوثغار عندما سمع صوت الباب يُفتح، وعندها تأكد أوين أن صديقه نائم وليس ميتاً.

صرخ أوين كالأطفال: «أوثغار».

قال أوثغار بصوت أجش: «كيف تمكنت من الوصول إلى هنا؟». لاحظ أوين أن الدموع كانت تترقرق في عيني أوثغار.

احتضنا بعضهما كأب وابنه، وعندما نظر أوثغار من فوق كتف أوين، رأى إلسا تقف خلفه، وقد بدا التوتر عليها.

تنحنحت إلسا وقالت: «مرحبا أوثغار».

نظر أوثغار إلى أوين مستفسراً، فقال أوين: «أود أن أعرفك يا أوثغار على أختي، إلسا، إنه صديقي أوثغار».

مدّ أوثغار المندهش يده إلى إلسا التي كانت تبتسم له.

«أنت أخته؟ لكن أليست الفتاة التي...».

«صحيح، أنا الفتاة التي كانت تعيش مع الملك، كنت مخطوفة»، ابتسمت إلسا ثم أردفت: «وها أنا عدت إلى المنزل، وإلى العائلة التي أنتمي إليها، إنها قصة طويلة، سأخبرك بتفاصيلها عندما نخرج من هنا، لا بد أنك جائع». وأعطه قربة الماء والطعام الذي جلباه معهما.

«شكراً لك يا ابنتي، رجاء اعذري جهلي، ولكنني لم أتوقع رؤيتك هنا مع أوين».

شرب أوثغار من قربة الماء، ورطّب فمه ثم قال: «إنها مفاجأة سارة، كدت أفقد الأمل، فالوقت يمر بطيئاً عندما يكون المرء محبوساً في مثل هذا المكان البغيض، فلا أشعة شمس تصل، ولا طعام يشبع؛ عليّ تناول بعض الطعام قبل أن نمضي في سبيلنا».

بدأ أوثغار بتناول اللحم المقدد الذي أعطته إياه إلسا،

وبسبب جوعه الشديد، تخلى عن سلوكياته المعتادة في تناول الطعام، وهذا ما أضحك أوين، ولكنه كان يعرف السبب ويتفهمه.

فجأة، توقف القزم العجوز عن المضغ، ونظر إلى إلسا وأوين وقد جحظت عيناه.

سأله أوين: «ما الأمر؟».

همس أوثغار: «كايا محتجزة في زنزانة قريبة».

خاطب أوين إلسا وهو يغادر زنزانة أوثغار: «ابقي معه».

بعد أن غادر أوين الزنزانة، سألها أوثغار بوداعة: «والآن، أخبريني كيف تمكنتما من العثور عليّ».

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

15

في الأعلى، وفي ظلمة غرفة العرش، وقف راغازار منتظراً وصول الملك. سال العرق ببطء عبر الأخاديد العميقة في وجهه، ودغدغته الرطوبة المزعجة، وارتجف جسده وهو يمسح يائساً القطرات عن جبهته بمنديل أخرجه من جيبه. لقد استدعاه الملك للقائه وجهاً لوجه. كان يرتجف من الخوف مثل طفل ينتظر عقاب والده الغاضب.

لم يسبق له أن التقى الملك سوى مرة واحدة، عندما وضعا خطة الإطاحة بأوثغار. الآن، هناك شيء لا يبدو على ما يرام، وكان راغازار يخشى أن يقع عليه غضب الملك، وإلا لماذا يدعوه إلى هذا الاجتماع؟

شعر القزم الذي أصبح ملكاً بأنه صغير جداً ولا حول له ولا قوة، لم يكن هذا هو الشعور الذي افترض أنه سيهيمن على عقله بمجرد أن يسرق عرش أوثغار. مع ذلك، ها هو في غرفة مظلمة وباردة في قلعة الملك البشري؛ الشخص الذي أجاب عليه رغم ترقيته بين الأقزام.

تسارعت ضربات قلب راغازار عندما فُتح باب غرفة

العرش على مصراعيه، وتحرك لوحا الخشب إلى الداخل على المفصلات المعدنية السوداء. وقف راغازار بانتباه، وعرش الملك على يساره، في الوقت الذي مر فيه الملك إلى يساره.

كان الهواء شديد البرودة مع اقتراب الملك، وكان حذاؤه ينقر بثبات مع كل خطوة يخطوها ببطء وتعمد.

انحنى راغازار وجثا على ركبتيه، ونظر إلى الحجر الرمادي أسفله، ثم قال بصوت عالٍ: «سيدي»، وبدا من صوته المرتجف أنه خائف.

لم ينبس الملك ببنت شفة، تقدم وصعد الدرجات بخفة، ولولا صوت حذائه لما لاحظ أحد وجوده، ثم توقف واستدار قبل أن يجلس، كان العرش هو الشيء الجميل الوحيد في هذه الغرفة.

كانت نوافذ الغرفة الكبيرة مغطاة بقماش أسود قديم جداً لدرجة أن بقعاً صغيرة من الضوء اخترقت القماش، ومع ذلك لم تسمح بدخول كمية كبيرة من الضوء إلى الغرفة. جاءت الإضاءة الوحيدة من الشمعدانات المضاءة بلهب أزرق غير عادي. لقد ظهر وجه الملك مظللاً وفقاً للطريقة التي أحبها.

خاطب الملك بصوت غاضب القزم الذي لا يزال راكعاً: «لدينا مشكلة يا راغازار، قف وتقدم إلى هنا».

سرعان ما وقف راغازار على قدميه وتقدم بسرعة، ثم وقف أسفل الدرجات المؤدية إلى عرش الملك.

ابتسم راغازار بالرغم من الرعب الذي يشعر به وسأله: «ما هي المشكلة جلالتك؟».

«ابنتي مفقودة، جاء الفارس الأزرق إلى القلعة وطاردته، لماذا لم تفعل أنت وأقزامك شيئاً حيال الأمر؟».

قال متلعثماً: «مفقودة؟ لم يسبق لي أن علمت بالأمر، ربما يجب أن يتدخل بعض أفراد شعبي على الفور».

«لقد أرسلت بالفعل مجموعة من رجالي للبحث عن إلسا وأزوريوس، سيجد جنودي كهف أوثغار، وسيبحثون عنها هناك. إذا لم يعثروا عليهما، فسنواصل البحث حتى يتم القبض عليهما. أقترح أن تطلب من شعبك المشاركة في عمليات البحث، فأنا غاضب يا راغازار. عندما أرسلتك لتقبض على أوين، واقترحت أن أرسل إلسا معك لإحضاره، اعترضت، لكنني قررت أنها كانت أفضل تدريباً من أي من رجالي، وسمحت لها بالذهاب. لماذا لم تنجحا؟».

تفصد العرق من جبين راغازار وقال: «سيدي، هذا ليس خطأي».

أصبح منديله رطباً جداً، ولم يعد استخدامه يجدي نفعاً، وأضاف: «عندما تركت إلسا بمفردها كان كل شيء تحت السيطرة، وكان أوين أعزل، وكانت...».

«كيف تركتها؟». رددت الجدران الحجرية صدى صوت الملك الغاضب وهو يكمل: «كان يُفترض بك أن تراقبها، فعندما عادت كانت غاضبة، ولم تتحدث كثيراً، حاولت إقناع أوين بالقدوم للعمل معي، لكن جهلك وتقصيرك في أداء واجبك حالا دون حدوث ذلك».

«أرجو أن تتقبل اعتذاري، لم يكن تقصيراً متعمداً، ولكنني ظننت أن إلسا تستطيع التعامل مع ذلك الفتى الأعزل».

حبس راغازار أنفاس، فلقد أهان للتو ابنة الملك، وهو يعلم أن العواقب ستكون وخيمة.

«هل تصف ابنتي بالعاجزة؟»، صرخ الملك وهو يجلس على عرشه الذهبي بصوت كالرعد، فلمع وميضٌ بضوء ذهبي من بين يديه، وهذا ما أدهش راغازار.

قال راغازار: «لا يا سيدي، لم أقصد شيئاً من هذا القبيل، كنت أشير إلى عدم بصيرتي، لأنني لم أدرك قدرات الفتى، لابد من أنه خدعها بطريقة ما».

«هممم»، خفت الوميض، وذلك عندما رفع الملك إحدى يديه، وفرك ذقنه، ومع أن الظلام كان يخفي وجهه، إلا أن راغازار لاحظ كيف بدت أصابعه رفيعة بشكل غير عادي، ثم أكمل: «لا بد أنه خدع إلسا أيضاً لتتبعه عبر الغابة»، عاد صوت الملك ليرتفع مجدداً وهو يقول: «لا بد من العثور على الفتى وإعادة ابنتي سليمة، لك حرية التصرف في العثور عليهما، ولكنني أريدك أن تجلبهما في الحال».

قال راغازار: «حاضر يا مولاي»، ولم يكف عن النظر صوب سيده.

قال الملك بجبروت: «إذا خذلتني هذه المرة فستكون هناك عواقب وخيمة؛ نسق مع رجالي، واعملوا معاً لوضع حدّ لهذه المهزلة».

لـم يـأتِ راغـازار بحركـة من شـدة الصدمـة، وعندما قرّب الملك يديه من بعضهما، انبثقت من أصابعه شرارات كهربائية.

فغـر راغـازار فمـه من هول المفاجأة، إذ لم يكن واثقاً أن ما تراه عيناه حقيقي.

قـال راغـازار: «قـد يكون مـن الصعب الوصـول إلى ابنتك الآن، نظراً ل إلى أنها مع عائلتها».

زمجر الملك ومدّ يده اليمنى إلى الأمام.

انبثقـت صاعقـة مـن الكهرباء، وصدمت صدر راغازار. كاد القزم يطير مباشرة إلى الجزء الخلفي من الغرفة لولا ثبته المجال الكهربائي الذي يحيط بجسده.

«هل تقصد العائلة التي ولدت في كنفها؟ أنا عائلتها؛ عائلتها الوحيدة. لقد أعدت تكوينها، وشكّلتها لتصبح محاربة ماهرة لا بد من أنها ستعود إليّ».

حاول راغازار الرد، لكن التيار الكهربائي الذي عبر جسده قد أعجزه.

«لا تتحدث معي مجدداً عن عائلتها. والآن، اذهب وابحث عنها».

مـا إن أنهـى كلامـه حتى رفع الملك أحد أصابعه مشـيراً به إلى الأمام، فطار راغازار في الهواء باتجاه الباب، وما إن اصطدم بالأرض حتى قفز وركض مثل حيوان مذعور.

اهتـز العـرش الذهبـي في الوقـت الذي ركض فيـه راغازار بالسـرعة التي تسـمح بها سـاقاه القصيرتين، وعندما اقترب من

الأبـواب، لمعـت الكهرباء بلونيها الأبيض والأزرق فوق رأسـه، واصطدمت بخشـب الباب أمامه، ففُتحت الدرفتان كما لو أنهما سحبتا بواسطة قوة غير قابلة للتفسير.

انتحب راغازار من شدة الخوف. كان صوت صراخ الملك يدوي خلفه، وهذا ما جعل القزم أشد رعباً.

16

رفرف قلب أوين كما ترفرف أجنحة الفراشة وهو يتعثر في الردهة، ويطل على النوافذ الصغيرة الخالية من الزجاج في كل زنزانة. أراد أن يصرخ باسم كايا، لتساعده في العثور عليها، لكنه يعلم أن أي ضجيج إضافي قد ينبّه مزيداً من الحراس.

كانت الغرف الثلاث الأولى فارغة، لكنه وجد في الزنزانة الرابعة كايا حيث كانت تجلس القرفصاء ساندة ظهرها إلى الجدار، دافنة رأسها بين ركبتيها، وعلى الفور، فتح أوين الباب بالمفتاح نفسه الذي استخدمه لفتح باب زنزانة أوثغار.

قال وهو يدخل الزنزانة: «كايا».

نظرت كايا إلى الأعلى، في البدء لم تستطع التفوه بأي كلمة، واندهشت من اضطرابها وهي التي تُعرف برباطة جأشها.

ابتسمت سائلة: «أوين؟».

انحنى ليساعد صديقته وسألها: «هل أنت بخير؟». وما إن وقفت على قدميها حتى قفزت إليه واحتضنته بمحبة.

همست: «تسعدني رؤيتك، ظننت أنني سأبقى أسيرة هذه الزنزانة إلى الأبد».

«أنتِ بأمان الآن، لقد أتيت برفقة إلسا، وقد عثرنا للتو على أوثغار».

«إلسا؟!»، دفعت كايا أوين، ونظرت إلى صديقها وقد بدت محتارة.

«لقد تبيّن أن لي أختاً، بعد أن التمّ شملها مع أمي، أقنعتها بالمجيء ومساعدتي في العثور عليك وعلى أوثغار».

سألته غايا: «ولكن هل يمكننا الوثوق بها؟».

ابتسم أوين بفخر: «نعم، سيكون كل شيء على ما يرام».

«أوين، لقد حاولت قتلك، كنت قلقة عليك».

«أعلم، لكننا توصلنا إلى حلّ، صدقيني، ما كنت لأحضرها إلى هنا ما لم أكن واثقاً بها، لقد أصبحت تدرك الحقيقة الآن، سأشرح لك كل شيء في الوقت المناسب، ولكن علينا الآن أن ننقلك إلى مكان آمن».

أمسك أوين بيد كايا، وتوجه نحو الباب، لكنها جذبته إلى الخلف قائلة: «شكراً لك أوين، خفت أن ألقى حتفي في هذه الزنزانة». ثم جذبته إلى الأسفل وقبّلته، ثم خرجت من الزنزانة وهي تشعر بالخجل.

تبعها أوين وهو يحاول أن يفك شيفرة ما حصل للتو بينهما، فقرر أن يسألها في وقت لاحق، فالوقت الآن للعمل وليس للكلام، فالأولوية لإنقاذ صديقيه.

دخلا زنزانة أوثغار ليجدا أنه وإلسا قد متّنا أواصر الصداقة بينهما، وكانا يبتسمان بحميمية.

قاطعهما أوين: «يبدو أنكما متفقان».

«فلنخرج من هنا».

نهضت إلسا وساعدت أوثغار على النهوض، ثم خاطبت كايا: «تفضلي كايا»، وأعطتها قربة ماء وقطعة من اللحم المقدد وأضافت: «لا بد من أنك تتضورين جوعاً».

نظرت كايا بحذر إلى إلسا، ولم تعرف إن كان يجدر بها قبول عرض الفتاة أم ضربها.

همس أوين: «لا بأس».

أجابتها كايا: «شكراً»، وأخذت الطعام على مضض، والتهمته بسرعة كما سبق لأوثغار أن فعل.

سأل أوثغار: «ما الخطة يا أوين؟»، كاسراً بذلك الصمت الذي خيّم عليهم.

«يجب أن نتعقب راغازار ونستعيد عرشك. لا أعرف كيف سنقوم بذلك، فنحن أربعة فقط، واثنان منا أعزلان».

قال أوثغار الذي تولى القيادة الآن: «هناك كثير من الأسلحة في الورشة، سنذهب إلى هناك أولاً، وسنحصل على ما نحتاج إليه، ثم نضع المزيد من الخطط».

أجاب أوين: «هيا بنا»، أومأ برأسه باحترام.

عندما دخلوا الردهة، سمعوا صراخاً في الزنزانة التي حبسوا فيها الحارسين.

ضحكت إلسا قائلة: «أعتقد أنهما استيقظا».

قال أوين وهو يتقدمهم إلى البوابة الحديدية الصدئة:

«اتركيهما. هيا، دعونا نخرج من هذا المكان».

تحركوا بسرعة؛ سار الأربعة في صف واحد خلف بعضهم عبر الممرات الضيقة. وكان أوثغار آخر من مر عبر البوابة وأغلقها خلفه.

أمره صوت أحدهم: «توقف».

رأى أوين الحارسين القزمين يعترضان طريقه، فاستل سيفه الأزرق استعداداً للهجوم القادم.

«إنهما سجينا الملك، ولا يحق لك تحريرهما من زنزانتيهما».

أعلن أوثغار: «الملك هنا».

صرخ الأكبر بين الحارسين: «لقد أصبح راغازار الملك الآن، ارمِ سلاحك وعد إلى الزنزانة».

أجاب أوين: «لا، لن يحدث هذا».

جلب درعه وركض نحو الحارسين بسرعة وقوة حتى ارتطم بهما وأسقطهما أرضاً، فصرخا ألماً.

ألقى أوين درعه جانباً، ولكم فك الحارس الأول، وأعاده إلى الأرض قبل أن يتمكن من الوقوف على قدميه. عندما ظهر الحارس الثاني، رمته إلسا بالحربة التي أصابت جانب رأسه تاركة إياه بجانب شريكه على الأرض.

«لهذا السبب تعتمر خوذة في المعركة»، ضحكت إلسا ثم انحنت وأخذت سيفي الحارسين الممددين أرضاً وسلمتهما إلى أوثغار وكايا وقالت لهما: «ربما تحتاجان إليهما».

أومأ لها أوثغار مستحسناً تصرفها، وشكرتها كايا.

قال أوين: «هيا بنا».

التقطت إلسا أحد المشعلين الذي سبق لهما أن تركاهما أرضاً وسلمته لأوثغار قائلة: «أنت من يعرف الطريق الذي يجب أن نسلكه لنخرج من هنا».

تقدم أوثغار المسير ولم يتوقع الآخرون أن شخصاً بمثل سنه يستطيع السير بهذه السرعة، وبخاصة أنه خرج للتو من السجن».

غادروا الأنفاق بأسرع مما دخلوها، وخشي أوين أن يسلكوا نفقاً يتيهون فيه ولا يعرفون بعدها طريقاً للخروج.

أخيراً، عندما بلغوا الصخرة التي تغطيها التعريشات، تنفس أوين الصعداء وخفت قلقه.

أزعجت أشعة الشمس عيني كايا بعد أن أمضت فترة في الظلام، ومرت عليها دقيقة قبل أن تستعيد رؤيتها الطبيعية.

لم يتوقف أوثغار حتى وصل إلى مدخل الكهف. لقد كان أول الداخلين، وما إن دخل حتى توقف ليلتقط أنفاسه.

قال وهو يشير إلى الأسلحة المعدنية المعلقة على الجدار البعيد: «هناك أسلحة للجميع».

ابتسم أوثغار، وفتح خزانة خشبية عالية وضع فيها درع أوين الأزرق، وخاطب إلسا قائلاً: «لديّ شيء سيعجبك»، وأخرج حربة معدنية صلبة متقنة الصنع ،»أعتقد أنه سيناسبك».

أجابته: «صحيح، لقد أمضيت ساعات طويلة، وأنا أتدرب في القلعة، وكانت الحربة هي السلاح الذي استعملته».

حمل أوثغار الحربة وقال: «لقد صنعتها بما تبقى من المعدن الذي صنعت منه درع أوين وسيفه، ستلاحظين أنها خفيفة الوزن، ولكنها بالرغم من ذلك صلبة ولا تنكسر، لقد سبق لي أن اختبرتها وأعرف أنها ستناسبك».

لاحظت إلسا على الفور أن حربتها تحمل النقش نفسه الموضوع على سيف أوين، أما الآخرون فلم تكن أسلحتهم زرقاء اللون بل بنفسجية، وفوجئت كم كانت حربتها لامعة، وكم من السهل المناورة بها بيديها حول جسدها.

أجابت بحماسة: «إنها رائعة».

«يسعدني أنها أعجبتك، إنها لكِ، وبما أنك أحد أفراد عائلة أوين، فيجدر بك أن تحملي سلاحاً مصنوعاً من حجر اللازورد، لا تستخدميه إلا من أجل حماية الأبرياء والتصدي لأولئك الذين يسعون لإلحاق الأذى بنا».

انحنت إلسا وقالت: «إنه شرف لي يا مولاي».

ابتسم أوثغار، وقد شعر بالفخر بعد أن اعتُرف به ملكاً من جديد.

قال أوين عندما رأى الحربة: «هذا جيد، هل كنت تعرف أن إلسا قادمة أو شيئاً من هذا القبيل».

«لا، على الإطلاق. لقد صنعتها لنفسي في الأصل، إنني أحب هذا السلاح في الأصل، وقد سمح لي حجر اللازورد بصناعة حربة خفيفة الوزن، ولكن السن تقدمت بي، ولم أعد قادراً على استعمالها بالطريقة التي كنت أقوم بها قبلاً، لذا رأيت

أنها تناسبها، إن صنع سلاح من حجر اللازورد يتطلب جهداً، فلا يمكن قولبته قبل أن يصل إلى درجة حرارة مرتفعة».

قالت إلسا بفخر: «شكراً يا أوثغار، سيكون هذا السلاح مفخرة لي دائماً».

سأل أوثغار كايا: «هل وجدت ما يناسبك؟».

قالت ضاحكة: «أعتقد أن هذا سيناسبني بشكل جيد».

شاهد أوين كايا وهي تتجول في أرجاء الورشة وهي ترتدي بذلة فضية اللون مصنوعة من الرقائق المعدنية الموصولة ببعضها، الأمر الذي يتيح لها التحرك بحرية. بما أن البذلة صنعت لحماية جذع شخص أكبر حجماً، فبدت عليها كما لو أنها فستان غطى ركبتيها، وقد حملت بيدها سيفاً.

قالت إلسا: «أعتقد أننا مستعدون. ولكن إلى أين سنذهب؟».

أجابها شخص دخل الورشة من الجهة الأخرى وقال: «ستعودين إلى الملك الذي تنتمين إليه».

تقدمت فرقة من الجنود المسلحين الذين يرتدون زياً ذهبياً، وقد بدوا في وضع الاستعداد للقتال.

صرخ أوين: «اركضوا»، وأشار إلى مدخل الكهف.

أسرع أوثغار، وكايا، وإلسا في الخروج، لكن أوين استدار وتصدى للهجوم.

صرخت كايا: «هيا يا أوين».

صرخ أوين: «اذهبوا، وأنا سأتصدى لهم».

أخرج أوثغار الفتاتين من الكهف، وركض باحثاً عن الأمان

وقال: «لا يمكننا مساعدته، هناك كثير من الجنود».

رفع أوين درعه عالياً للتصدي للسيوف التي كانت تنهمر عليه ضرباتها كالمطر. حاول التفوق على الجنود، لكن لم يكن هناك من مكان يهرب منه.

تكومت الجثث على أرض الكهف، وقد سدّت طريقه عند كل منعطف. لم يسبق له أن واجه هذا العدد الكبير من الجنود دفعة واحدة.

أرجح نصله بشدة، ولكن مع ذلك، سرعان ما تغلب عليه الجنود. بعد فترة وجيزة، أجبر على الركوع أرضاً.

قال قائد الجنود: «ارفعوه».

رُفع جسد أوين بغضب، وربطت ذراعاه خلف ظهره بعد أن جُرّد من سيفه ودرعه.

نادى أحدهم: «جردوه من الخوذة».

حاول أوين التملص والفرار، ثم صرخ قائلاً: «دعوني أغادر».

سخر القائد قائلاً: «لا يمكنك الابتعاد هذه المرة يا أزوريوس».

«لن تحتجزني لفترة طويلة، سوف...».

أمسك القائد بذقن أوين بقفازه البارد وقال: «اعترف بالملك، يمكنك القيام بذلك بالطريقة السهلة أو بالطريقة الصعبة، والقرار يعود لك».

قال أوين بتحدٍّ: «أوثغار هو الملك الوحيد الذي أعترف به».

قال القائد مبتسماً: «لقد اخترت الطريقة الصعبة».

تراجع القائد، ومن دون سابق إنذار، ضرب بقبضته أنف أوين.

فتوقف أوين عن المقاومة.

17

أخيراً، استيقظ أوين وهو يشعر بثقل في رأسه. في البدء، لم يستطع أن يفتح عينيه، وقد شعر بالغرابة. آلمه أنفه؛ فلا بد أنه مكسور؛ وشعر بتصلب في بشرته بسبب البرد، وسمع طنيناً صاخباً في أذنيه، وكان رسغاه مقيدين. أخيراً، عندما استطاع أن يفتح عينيه، بدا له الظلام حالكاً في الغرفة.

ثُبتت أصفاده بسلاسل على لوح خشبي. هزّ رأسه؛ إنه يشعر بالجوع وكان كل إنش من جسده يؤلمه.

شعر أوين بالعجز، ومع أنه لم يسبق له أن أتى إلى قلعة الملك الشرير، إلا أنه ومن خلال النظر إلى الجدران عرف أين هو، فكّر ليعرف كيف قبض عليه، وما الذي ينتظره.

فكّر في أوثغار، وإلسا، وكايا. هل تمكن من إشغال رجال الملك بما يكفي ليهربوا؟ ثم فكّر في ستيفاني.

أراد البكاء، لكنه أبى أن يظهر أياً من مشاعره، لقد كان قلقاً على أصدقائه أكثر من قلقه على نفسه.

فُتح باب في مكان ما خلفه، فدخل شعاع من الضوء. عندها رأى أوين درعه وبذلته، وقد استغرب أن معداته كانت موجودة

في الغرفة نفسها، ولكن أكثر ما أثار استغرابه أنه لم ينتبه لها من قبل؛ لقد كانت موضوعه على تمثال خشبي، وكان سيفه موجهاً إلى الأرض، وكان الدرع موضوعاً أمام البذلة.

قال رجل عجوز بصوت خشن: «من الأفضل لك أن تعترف به، وتخبره بما يريد سماعه، هذا إن كنت تريد البقاء حياً».

اقترب الرجل العجوز محني الظهر؛ كان يرتدي أثمالاً، ولكنها كانت تكشف أكثر مما تستر من جسده.

سأل أوين العجوز: «لماذا عليَّ أن أعترف به؟»، كان فم أوين جافاً جداً.

همس له العجوز: «إن أردت أن تغادر هذا المكان، فلا بد لك من أن تعترف به»، فما كان من أوين إلا أن نظر بعيداً. عندها خاطبه العجوز بتحدٍّ: «انظر إليّ».

أخيراً، حرّك أوين رأسه ناحية العجوز ونظر إليه، وقد تفاجأ عندما رأى أن عينيه مفعمتان بالحياة.

«ذات يوم كنت مثلك، ولكن انظر كيف انتهى بي المطاف، إن لم ترد أن يصيبك ما أصابني، فعليك أن تستجيب له، فهو لن يتأخر في القدوم إليك».

قال أوين بعنفوان الشباب: «أنا لا أخشاه، فقد سبق لي أن تصديت لرجاله».

«ربما فعلت ذلك وتغلبت عليهم، ولكنك لم تواجهه شخصياً»، ابتعد الرجل قليلاً قبل أن يعود حاملاً كوب ماء وأضاف: «لا يفترض بي أن أقدم لك الماء، ولكن اشرب».

قال أوين: «أخشى أنك تسعى لتسميمي».

ابتسم العجوز ابتسامة عريضة سائلاً: «لماذا أسممك؟ ما الذي سأجنيه من ذلك؟ فلم أعد شاباً، وأنا لا أسعى وراء عطاء من الملك، بل العكس تماماً، إن أغضبه تصرفي وقرر التخلص مني فهذا يعني أنني سأضع حداً لمعاناتي، اشرب ولا تخف».

فتح أوين فمه ليتيح للعجوز أن يصب الماء فوق شفتيه. لسعه الماء، لكنه أحس ببعض الراحة.

«جيد، جيد»، نظر إليه الرجل لبعض الوقت، ثم أعاد ملء الكوب بالماء.

«تذكر، لديك خيار. اعترف به، وإلا ستعاني كما عانيت».

ابتعد الرجل عن أوين جارّاً قدميه المتعبتين، ثم اختفى بعد أن أغلق الباب خلفه، وعاد الظلام ليخيم على الغرفة.

انتظر أوين لساعات، وهو عاجز عن الحركة، ولم يستطع القيام بأي شيء سوى التحديق. حاول بين الفينة والأخرى أن يصل إلى درعه. ولكن، حتى إن وصل إليه فماذا يستطيع أن يفعل وهو مقيد اليدين؟

بعد فترة، سمع صوت خطوات صاخبة، عندها دخل أحدهم وقال: «حسناً يا أزوريوس، وأخيراً التقينا»، عرف أوين أنه الملك الشرير.

«ليس لدي ما أقوله لك»، صاح أوين وهو ينظر إلى الرجل الطويل الذي يقف أمامه وقد غطت عباءة سوداء معظم جسده، فلم يستطع أوين أن يرى إلا لحيته البيضاء.

«بلى يا أزوريوس. في البدء، أريد أن أعرف أين ابنتي».

أجابه أوين بسرعة: «لا أعلم».

«أعرف أنك تعلم، وأعرف أنك ستخبرني، وإلا ستذوق ألماً يفوق الخيال، ولكن قبل أن نبدأ، أريدك أن تعلم لما أنت هنا. قبل وقتٍ قصير، سقط حجر غامض من السماء، حجر اللّازورد الذي سرقته أنت والقزم الذي صنع منه درعاً لك، لهذا الحجر وزن وثخانة غير عاديين؛ لا مثيل لهذا الحجر. عند مزج المعادن الموجودة فيه، ستكون النتيجة مذهلة. لكن للأسف، صديقك الملك المزيّف عرقل مخططاتي وصنع منه معدات لك».

«نحن لم نسرقه، فالحجر لم يكن لك».

«أنت مخطئ يا أوين، فكل ما على الأرض ملكي، وكل ما في مملكتي هو ملكي».

تنهد أوين وقال: «أوثغار هو الملك الحقيقي، والجميع يعلمون ذلك، لا سلطة لك عليّ أو على أيّ شخص آخر».

شبك الملك الشرير ذراعيه أمام صدره وقال: «ألا تظن أنك تتحدث بغرور، لا سيما أنك مقيد، وأمرك بيدي؟».

حرّك أوين رأسه قليلاً، ولاحظ أن هناك تياراً كهربائياً يتحرك أمام أصابع الملك الشرير.

لاحظ الملك أن أوين ينظر إلى يديه، فمد إحداهما وثبتها أمامه. أصبح الضوء أكثر قوّة، فضحك الملك بشكل خافت عندما جحظت عينا أوين.

سأله: «ربما لم تخبرك إلسا شيئاً عن قوتي».

«كيف؟»، بدأ أوين بسؤاله، ولكنه لم يستطع أن يتابع لأن الملك حرّك يديه إلى الأمام والخلف، لقد كانت الكهرباء تتحرك وفقاً لأوامره، وعندما أحكم قبضته، أصبحت الكهرباء أكثر شدة، ثم ما لبثت أن توقفت.

ذهل أوين عندما اختفى الضوء. وتساءل، هل ما رآه حقيقة أم خدعة قام بها دماغه المتعب.

سأله أوين: «إذا كنت تستطيع التحكم بالكهرباء... فلِمَ تحتاج إلى بذلتي؟».

وقف الملك بشكل هادئ جداً لبضع دقائق، وفكرّ ملياً قبل أن يسأله بسخرية: «هل تعتقد أنني أريد أن أصنع بذلة مثل بذلتك؟ لا بد أنك تجهل ما يكتنزه هذا الحجر».

«حسناً، لماذا لا تذيب معداتي وتصنع منها ما تريد؟ لماذا تحتجزني؟ لقد حزتَ على معداتي، دعني أغادر».

«ألا تعتقد أنني حاولت؟ أثناء وجودك هنا، طلبت من أفضل الحدادين لديّ أن يذيبوا معداتك، ولكن يبدو أنّ الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي إمّا باستخدام نار تنين أو بالاستعانة بعلم أوثغار. بما أن كالوريث لم يعد قادراً على إطلاق نار جحيمه، وبما أنك حررّت أوثغار، يبدو أن الطريقة الوحيدة لأحصل على مبتغاي هي أن أنتظر أن يأتي أوثغار إلى هنا ليحررك، وعندها سأجعله يصنع لي البذلة التي أريد».

نظر أوين إلى الملك مبتسماً، ثم قهقه بهدف إغضاب الملك قائلاً: «هل أنت جاد؟ هل تعتقد أن أوثغار سيصنع لك ما تريد؟

هل هذه هي خطتك الشريرة حقاً؟».

لم يتوقف أوين عن القهقهة، فما كان من السلاسل التي تقيده إلا أن أخذت تصدر صوتاً، وفجأة توقف عن القهقهة.

تشنّج جسد أوين لبرهة، وتجمّد جسده والسلاسل في مكانهما عندما اخترقت حزمة من الكهرباء صدر أوين، وسرت في كامل جسده.

قال الملك بصبر نافد: «لا تختبر صبري، فلن تجني من إثارة غضبي إلا مزيداً من الألم».

عندما انتهى دفق التيار عبر جسده، تدلى جسد أوين من السلاسل، فمع كل نبضة قلب، ومع كل محاولة لالتقاط أنفاسه، كان يشعر بالوخز في شتى أنحاء جسمه، ولكن عندما تنفس بعمق خف الألم، إلا أنه كان منهكاً.

«هذه عيّنة من الألم الذي سأذيقك إياه. إن عاودت التحدث إليّ بهذه الطريقة، فتذكر أنك لست قوياً من دون درعك وبذلتك؟».

لم يستطع أوين الردّ، فكل ما صدر منه لم يتعدَ الهمهمة، واكتفى بالنظر إلى الملك، بينما كان جسده يتعرق بشدة.

«سيأتي أوثغار، وعندما يصل، سأجعله يصنع من الدرع شكلاً مهيباً. حتى ذلك الوقت، سأدع الدرع هنا حتى تشبع عيناك من النظر إليه».

أدار الملك ظهره مطلقاً دفعة صغيرة من الكهرباء باتجاه مشعل معلّق على الحائط، فاتقدت فيه النار فوراً.

«أثناء قضائك لساعاتك وأيامك هنا، وأنت لا تفكّر بشيء آخر، أدعوك أن تنظر إلى الدرع وتفكّر؛ هل كنت لتتواجد هنا لولا أوثغار؟ لقد صنع لك هذا الدرع، ولكنه لم يرد أن تكون بطلاً، لم يرد إلا أن يجمع قومه، فلم تكن أكثر من أداة بالنسبة إليه. إذا التحقت بصفوفي، فلن أكون بحاجة إلى درع خاص بي، وإن تحالفنا فسيتيح لنا ذلك تطهير هذه الأرض من الأقزام».

صاح أوين وهو يشعر بالجفاف في حلقه سائلاً: «وماذا عن راغازار؟».

«راغازار؟»، ابتسم الملك، ولكن أوين لم يتمكن من رؤية تقوّس شفتيه بسبب العباءة السوداء التي أحاطت به.

«إنه مجرّد بيدق ينفذ أوامري، كما تفعل أنت لأوثغار».

صرخ أوين قائلاً: «كاذب، لن تنجو بفعلتك هذه».

«بلى يا أوين. لكن يمكنك أن تسهّل هذا عليّ. تعاون معي ومع إلسا. فعندما نتصرف كعائلة واحدة، فلن يتمكن أحد من إيقافنا، سأتركك تفكر، وسآتي إليك صباحاً، وإذا وافقت على الانضمام إليّ، فسنبحث عن إلسا وسنجدها، وستكون بداية جديدة. تذكر، إما نحضر إلسا، وإما ننتظر قدوم أوثغار ليصنع لي درعاً، الخيار لك يا أوين، إما تكون ابناً لي أو عدواً».

تشنج جسد أوين من فكرة أن يكون ابناً لهذا الملك الشرير.

صرخ أوين قائلاً: لديّ أب، ولا أريد أن أكون ابناً لسواه».

توقّف الملك وأجابه: «نعم، كان لديك أب، لم يتبع هو الآخر أوامري. فكّر بعاقبة أفعاله عليه وعلى أمك. بالمناسبة، ما

أخبارها؟ ربما يتوجّب عليّ أن أزورها».

صرخ أوين مجدداً قائلاً: «دعها وشأنها».

«أنت من يقرر». ضحك الملك وغادر الغرفة تاركاً أوين في الظلام برفقة دموعه.

18

عندما حل الليل على الغابة انخفضت الحرارة، أمضى أوثغار الساعات القليلة الماضية يمشي ويجمع الحطب، وكانت كايا تراقبه وهو يراكم ما يكفي من الحطب طوال الليل، ولم تعرف إن كان العجوز سعيداً بتحريك ساقيه بعد الفترة التي أمضاها في الزنزانة، أما كان يفكر في خطوتهم التالية.

منذ الهروب من الكهف، جلست كايا بالقرب من النار ونظرت إليها. لم يتكلم أي منهم، وبدا أنهم يفكرون في مخططاتهم المستقبلية، أما إلسا ففعلت الشيء الوحيد الذي تجيده، فأطلقت العنان لمزيج الخوف والغضب الذي كان يتشكل بداخلها، وأرادت أن تصب جامه على من يتحدث إليها بشكل غير مؤاتٍ.

التفّت يدا إلسا حول حربتها بدقة وسرعة، وقد شعرت براحة أكبر مع هذا السلاح الجديد، أكثر من أي شيء حملته على الإطلاق. لقد تحول لون الحربة البنفسجية الآن إلى اللون الأرجواني الداكن تحت ضوء القمر المتزايد إشعاعاً، فأخذت تضرب جذع الشجرة الثخين، فتطايرت اللحاء وقطع

الخشب الصغيرة من جذع الشجرة في سحابة من الغبار. تعرّقت إلسا رغم برودة الليل، وبدأت تشعر بالتعب. ضربت الجذع لفترة أطول مما أرادت، لكن كانت هذه طريقتها في التفكير والتخلص من التوتر؛ كان هذا كل ما عرفته وما أشعرها بالرضا.

قال أوثغار وهو يضع يده على كتفها: «إلسا، تعالي واجلسي من فضلك. لقد تأخر الوقت والضوضاء الصادرة عن حربتك قد تنبه أي شخص. تعالي، دعينا نرتح. لقد كان يوماً طويلاً»، ابتسم لها باطمئنان كما لو أراد قول: «لا بأس، أنا أعرف ما الذي تشعرين به».

تكلمت بصوت منخفض أشبه بالهمس: «بالطبع».

لم تنضم إلسا إلى كايا وأوثغار على الفور بعد أن توقفت عن ضرب الشجرة، لكن بدلاً من ذلك، اتّكأت على جذع الشجرة، الذي تحول من خصم إلى صديق مقرّب، ثم حدقت بشوق إلى القمر، فيما كان أوثغار وكايا يحدقان إليها من مكانهما.

همست كايا: «لا أعتقد أنها تحبني».

«لماذا تقولين هذا؟ لقد ساعدت في إنقاذك».

«أجل، ولكن فقط لأن أوين كان موجوداً. لا أعرف يا أوثغار، هناك شيء ما في الطريقة التي تنظر بها إليّ. نحن مختلفتان تماماً عن...»، توقفت وبدت محرجة من استمرارها في الكلام، ثم أكملت حديثها: «نعم، نحن نختلف كثيراً عنهم، لكن نحن الثلاثة متصلون بخيط واحد يجمعنا. كلنا نحب أوين

ونقلق عليه. هل تثق بها يا أوثغار؟».

نظر القزم العجوز إلى الفتاة، وأمكنه الشعور بأنها وجدت صعوبة في طرح هذا السؤال، فأجاب من دون أن يؤكد أو ينفي مشاعره: «وأنت، ألا تثقين بها؟».

«لا أعرف، تبدو منعزلة للغاية، لا أعرفها ولا أشعر بالراحة معها. هل هذا طبيعي؟».

«بالطبع، لكن أوين يثق بها، وهذا كافٍ بالنسبة إليّ، أنا أثق بأوين وبمشاعره، فأنا أعرفه هو وستيفاني معرفة وثيقة، وإلسا تشارهما الدماء التي تجري في شرايينها».

قالت كايا بعد أن أخفضت صوتها، وتحدثت ببطء وقد بدت مرهقة: «أعلم، لكنها عاشت مع الملك لفترة طويلة، إنه يجسد الشر المطلق، فماذا لو كانت هي أيضاً مثله؟».

«نعم، لقد عاشت معه لسنوات عديدة، لكنني أعلم أن هناك شيئاً جيداً فيها يا كايا، علينا فقط أن نثق في أن الظلام يخبو الآن، ونمنح الضوء فرصة للتألق. عليك أن تفكري كيف انتهى بها الحال مع الملك، لقد اعتادت على طريقة معينة في التفكير منذ صغرها، وليس من السهل أن تتحول فجأة إلى شخص مختلف لمجرد أن الآخرين يعتقدون أن هذه هي الطريقة الصحيحة للعيش».

حرك أوثغار الجمرات، وأضاف مزيداً من الحطب عليها قبل أن يتابع كلامه، فعلى الرغم من أنه كان يشعر بالنعاس، إلا أن كايا كانت تحتاج إليه.

«انتُزعت إلسا من عائلتها، وضُللت. تخيلي أن تعيشي معظم حياتك في كذبة، ما من شك أن الأمر صعب عليها. صحيح أنها من البشر ونحن من الأقزام، لكننا نتشارك العديد من السمات، فكل منا يعبّر عن عواطفه بطريقة معينة، ولكل منا احتياجات ومخاوف، أراهن أنك إذا تحدثت إليها، فستفتح قلبها لك، تماماً كما فعلت معي».

سألت كايا: «وإن غضبت؟».

«عندما نتواصل مع بعضنا بصدق، فإننا بذلك نستخدم السلاح الأمضى لهدم جدران الكراهية، إن العيش خلف جدران الخوف يشعرنا بعدم الراحة، وهذا ما يراه الآخرون أكثر مما نظن، ثقي بعواطفك، واسمحي لمخاوفك بالتعبير عن نفسها، وستجدين أن منسوب الخوف سيتلاشى بمرور الوقت».

ابتسم أوثغار باطمئنان على الرغم من التوتر الذي بدا جلياً على كايا.

نظرت كايا إلى إلسا، ولاحظت أن شعرها البني الطويل يتأرجح ذهاباً وإياباً كلما مشت خطوة إلى الأمام. برزت عضلات ذراعيها ورقبتها مثل الصخور على منحدر مرتفع. كانت إلسا طويلة القامة وقوية، وأطول بكثير من كايا. سألت كايا بصوت عالٍ: «لماذا لا تنضم إلينا؟»؛ لم تكن تطرح سؤالاً تنتظر إجابة عليه بقدر ما كانت تفكّر بصوت عالٍ.

أجاب أوثغار: «ربما عليك دعوتها». ثم أومأ برأسه، ورفع حاجبه الكثيف مشجعاً إياها.

احمرّت كايا خجلاً وهي تنظر إلى الوراء من دون أن تبدي أي استجابة.

نظرت كايا مجدداً إلى إلسا التي كانت تقف بعيداً ويكتنفها الظلام، ثم نهضت جامدة لبرهة قبل أن تتجه صوبها.

قالت وهي تقترب ببطء من إلسا: «إنها ليلة باردة».

استدارت إلسا متفاجئة؛ كانت شاردة الذهن، فلم تسمع خطوات كايا وهي تسحق أوراق الأشجار المتساقطة وتتقدم صوبها.

قالت: «نوعاً ما، لكنني أحب البرد في بعض الأحيان».

حاولت كايا أن تفتتح محادثة على الرغم من أن صوتها كان يرتجف، وبدت وكأنها مجبرة على التحدث: «أتحبين البرد حقاً؟ لماذا؟».

«لقد أمضيت فترة طويلة من حياتي في قلعة باردة، حيث المشاعل والشموع خافتة، ولم أجد فيها شيئاً يبعث على الدفء، لطالما عرفت أنني لا أنتمي إلى القلعة، ولطالما قدّرت البرد الذي شعرت به عندما سمح لي بمغادرة القلعة، وذلك عندما استنشقت الهواء النقي، إنني أحب البرد الطبيعي، فهو نوع مختلف من البرد».

سألتها كايا: «حقاً؟ كيف ذلك؟».

أجابتها إلسا وهي تشعر بالإحراج: «من الصعب شرح ذلك، ربما عليّ التوقف عن الكلام، لا بد أنني أبدو غبية الآن بالنسبة إليك».

وضعت كايا يدها على كتف إلسا وقالت: «لا، من فضلك تابعي»، فنظرت إليها إلسا نظرة غامضة يمكن أن تفسر على غير حقيقتها بأنها نظرة غضب أو عدم يقين.

في كلتا الحالتين، سحبت كايا يدها بسرعة.

«أريد أن أسمع المزيد، لقد نشأت في الكهوف، لكنني شعرت دائماً بالدفء».

«حسناً، لطالما حاولت البقاء في الخارج لأطول فترة ممكنة كلما سنحت لي الفرصة بالخروج، وعادة ما تعرضت للكثير من المشاكل مع الملك. لقد عاقبني على تأخري، وجعلني أمسح الأرضيات وأغسل الجدران، لكن هذه العقوبات لم تردعني. فعندما أكون في الخارج، وأرى ضوء القمر، كنت أشعر بأن كل شيء... حقيقي. لطالما شعرت أن الجدران الحجرية مزيفة ولا حياة فيها، على الرغم من أنني كنت أسمع من خلالها أنين الأشخاص الذين يسحبون عبر أرضيات القلعة الباردة. لطالما غُطيت مصاريع النوافذ في النهار، حتى لا يدخل إلا القليل من أشعة الشمس، لقد أحببت الشعور الذي تتركه أشعة الشمس عندما تلامس بشرتي عندما كنت أذهب للصيد أو التدرب في الهواء الطلق. لكن الليل مختلف؛ فأنا لا أخاف ظلام الليل، ففي الليل تسمعين صوت الحيوانات والأصوات التي نتجاهلها أثناء النهار، في بعض الأحيان يكون الصمت هو أعظم الأصوات».

همست كايا: «يا للروعة!».

قالت إلسا: «أنا أعلم أن ما تفوهت به كلام ينم عن غباء، لا أعرف لماذا أخبرتك بذلك».

شجّعتها كايا قائلة: «لأنك تعنين ذلك، لقد كان وصفك عميقاً، لم أكن أعرف أن البشر يمكنهم...».

سكتت، وقد بدا أن الإحراج انتقل من إلسا إلى كايا.

ضحكت إلسا وهذا ما أدهش كايا.

ابتسمت إلسا وقالت: «لا تعرفين الكثير من البشر، أليس كذلك؟».

أشاحت كايا بنظرها وهي تقول لإلسا: «آسفة، لم أقصد إهانتك».

«لا تقلقي يا كايا، أنت لم تزعجيني».

«ألم تنزعجي؟».

«خلال الأيام القليلة الماضية، مررت بالكثير، ولم أعد أعرف ما الذي يزعجني».

عرضت عليها كايا قائلة: «لنذهب ونجلس بجانب النار، فأنا أشعر بالبرد». بدا عليها الارتياح لأن إلسا لم تعارضها.

مشت الفتاتان، وانضمتا إلى أوثغار الذي حرّك الجمرات مرة أخرى ليزيد من وهج النار، فانتشر الضوء وعم الدفء.

سألهما أوثغار: «حسناً، ما الذي كنتما تتحدثان عنه أيتها الفتاتان؟».

نظرت كايا إلى أوثغار أولاً، ثم إلى إلسا وقالت: «حسناً، كانت إلسا تشرح لي أن الأمور مختلفة جداً بالنسبة إليها».

أومأ أوثغار برأسه بتواضع وهمهم بصوت منخفض.

صاحت إلسا على الفور بصوتها المتميز قائلة: «أنا لا أجيد مشاركة مشاعري، أنا لا أعرفكما حقاً يا رفيقي، ولا أريد أن أكون وقحة، لكن...»، انخفض صوتها شيئاً فشيئاً حتى تلاشى.

قالت كايا مبتسمة: «لا بأس بذلك يا إلسا»، تجاهلت إلسا الإيماءة وأمعنت النظر إلى النار.

نظرت كايا باتجاه أوثغار مستنجدة به، لكنه اكتفى بالابتسام متجاهلاً إياها. فما كان من كايا إلا أن قالت: «وأنا أيضاً أرى أن الأمور غريبة جداً بالنسبة إليّ، فمنذ فترة قصيرة، التقيت ببشري للمرة الأولى في حياتي، بعد أن أتيت ووالدي إلى هذه الأرض، حاملين أكبر قدر ممكن من ممتلكاتنا، وعندما وصلنا وجدنا بشرياً يحاول قتل التنين، ويساعد على توحيدنا، ونحن الذين تربينا منذ نعومة أظفارنا على الحكايات التي تصف جشع ذلك البشري وكرهه لنا، وها أنا اليوم، أدرّب بشرياً ليصبح محارباً».

أكملت قائلة: «في البداية، اختلطت مشاعري، لكن والدي أمرني بالعمل معه، والتظاهر بأنني أستمتع برفقته. ثم بعد فترة، بدأت أشعر بأنني قريبة منه، وأصبحنا صديقين، ولم أستطع أن أحدد حقيقة ما أشعر به حياله، ثم أدركت أنه أحبني أيضاً، وكان أفضل صديق لي طوال حياتي التي لم أقم خلالها سوى بالتدرب على القتال وصنع المعادن».

أضافت: «لقد كانت المرة الأولى في حياتي التي أمضي فيها الوقت مع شخص بمثل سني. وفجأة، انقلب والدي عليّ

وعليه، وظننت أنه سيقتله أو بالأحرى...»، انخفض صوت كايا بينما تذكرت أن إلسا هي التي وقع عليها حمل مهاجمة أوين.

نظرت إلسا إلى الأعلى، وانتابها حدث باتجاه القصة.

قاطعها أوثغار: «يمكن للأمور أن تتغير بسرعة كبيرة وبشكل غير متوقع»، وذلك بعد أن استشعر الغضب يعتمل في داخل إلسا التي كانت تبذل قصارى جهدها لتبقى هادئة.

«عندما ألقى بي والدي في الزنزانة لأنني دافعت عن أوين، شعرت أن حياتي قد انتهت. فقد أصبحت أحب من طلب مني أن أكرهه، ثم تخلى عني والدي، وكأنني سقط متاع، ولم يعد بحاجة إليّ في حياته».

تمتمت إلسا: «أعتقد أننا نعاني من مشاكل مع أبوينا، أليس ذلك صحيحاً؟».

أجابت كايا محاولة حبس دموعها: «أعتقد ذلك، لا أعرف كيف استطاع أن يفعل بي ذلك»، وفجأة سمحت لعواطفها أن تعبّر عن نفسها وتابعت: «لقد ألقى بي كما يلقي بالقمامة، ما الذي فعلته لأستحق كل هذا؟».

صاحت إلسا بغضب: «لم تفعلي شيئاً، وهذا يجعل الأمر أسوأ. أنا خطفت، واستخدمني الملك بعد أن كذب عليّ وأوهمني أنني ابنته. والآن، اكتشفت أن لي أخاً وأماً لم يسبق لي أن التقيت بهما. لقد كانا عدويّ، وها أنا الآن أدافع عنهما مع قزمين، وأنا التي قيل لي إن الأقزام هم أعدائي. فكيف أعرف بعد الآن ما الذي يجدر بي أن أصدقه؟ في الحقيقة، لولا أوين

لكنت هربت، وبدأت حياة جديدة في مكان آخر حيث لا أعرف أحداً، لكنني لا أستطيع».

لم تكف كايا عن البكاء، ليس على نفسها بل على إلسا أيضاً، فقاطعها أوثغار قائلاً: «إن سمحتما لي بالتدخل، أعتقد أنني أفهم ما تشعران به. لقد تم التخلي عنكما، وبقيتما لوحدكما بطريقتكما الخاصة، وهذا ما حصل لي عندما عشت وحدي في الجبل بعيداً عن عائلتي وأقراني. يجب أن تعرفا أنكما لم ترتكبا خطأ».

قالت إلسا: «بالتأكيد، أنا أعرف ذلك».

«نعم بالطبع، لكن الحقيقة هي أن كلاً من الملك وراغازار هما سبب ما حل من دمار للبشر والأقزام، وإذا تجاهلنا المظهر الخارجي، فسيبقى لدينا مخلوقات تسعى إلى الأهداف نفسها في الحياة. البعض منا يسعى إلى الخلاص، والمحبة، والقبول، بينما لا يهتم آخرون إلا بالسلطة التي تخدم مصالحهم الذاتية. إنهم يتلاعبون، ويكذبون، ويخدعون، ويسرقون وهم مستعدون لإيذاء أي شخص يعترض طريقهم، إنهم لا يسعون سوى وراء القوة والسيطرة. والمشكلة هي أنه بمجرد أن تصبح هذه القوة في متناول أيديهم، لا يشعرون أبداً بالرضا، ويواصلون السعي وراء المزيد من القوة حتى ينتهي بهذه القوة إلى تدميرهم في نهاية المطاف. لا تساوي القوة شيئاً من دون الحب والسعادة. أنتما مثالان أساسيان لما هو مفقود في حياة أولئك الذين تسببوا لكما بالأذى. إلسا، عدوك السابق هو أخوكِ الحالي، هي نفس القوة

المشتركة التي توحدك معنا. كايا، تثبت صداقتك مع بشري أهمية القبول والحب. إن هوس الملك وراغازار في القوة أعماهما عما أنتما عليه في الحقيقة. ربما لو شعرا بما تشعران به، فما كانا ليكونا جشعين ومدمرين».

سألته إلسا: «ماذا تقصد؟».

«يمكنكما أن تريا أنه في حال نبذ العنصرية، فسنعمل جميعاً لنحصل على حياة أفضل، هذا ما علمته لأوين وعلمني إياه، وسيصبح العالم مكاناً أكثر تناغماً عندما نتشاركه مع الآخرين، إن مساعي أوين يجب ألا تصل إلى طريق مسدود، فمن خلال السعي الدؤوب سنصلح هذه الأرض ونعيد السلام والوئام. يجد البعض صعوبة في تجاهل ما يختلف فيه الناس، فلا يتقبلون اختلاف اللون أو المعتقد أو الخلفية، وبدلاً من أن يتعلموا من الاختلاف، تراهم يخشونه لأنهم لا يريدون أن يعرفوه، وهذه الخشية تولد الخوف الذي يسبب بدوره الكراهية. الملك الشرير وراغازار يخشيان بعضهما، وهذا ما يجعلهما يخافان من بعضهما، وبما أنهما يعملان معاً ويخافان من بعضهما في الوقت نفسه، فلا يمكن لرابطة قوية أن تجمعهما. وهكذا، يسعى كل واحد منهما سراً للحصول على السلطة، ولكن أسوأ ما في كل هذا أنهما يؤذيان من يحبونهما».

قالت كايا باستهزاء: «لقد ضاع أبي، في طفولتي كنا نلعب معاً، كان مثالي الأعلى في الحياة. لم أعرف والدتي قط، لذلك كان هو العالم بأسره بالنسبة إليّ، ومع تقدمي بالعمر، انشغل

عني، وأرسلني كي أتدرب وأصبح محاربة، وعندما لم يعد بحاجة إليّ... أتعرف ما كان مصيري؟»، جلست، وفكرت بعمق للحظة ثم تابعت: «أوثغار، هل تعتقد أن والدي سيعود إلى ما كان عليه؟».

«ما من شخص يستطيع أن يعرف، ولكن إذا كنت تعتقدين أن هناك أملاً، فالأمر يستحق المحاولة».

سألت إلسا باستنكار: «لا أريد أن تسيئي فهمي يا كايا، ولكن كيف يمكنك أن تسامحيه بعد كل ما فعله بك؟ لقد سجنك، ولا أظن أن شخصاً يهتم لأمر ابنته يقدم على ذلك، أنا شخصياً تغيرت نظرتي للملك وإلى الأبد».

حدقت كايا إلى إلسا، وشعرت بالحريق في عينيها بسبب دخان النار الذي اختلط بدموعها، وأخيراً قالت: «صدقيني لا أعرف».

رفعت إلسا كتفيها باستهزاء: «حسناً، أعتقد أنك مجنونة لأنك تفكرين بالمحاولة».

شعرت كايا بعينها اليمنى ترتعش، وتقلصت عضلاتها من شدة الغضب، ثم صاحت قائلة: «أأنت مجنونة؟ على الأقل أعرف من هو والدي الحقيقي».

قفزت إلسا وسحبت حربتها بسرعة استعداداً لضرب كايا.

قالت إلسا: «سيسبب لك لسانك كثيراً من الأذى. تعالي يا فتاتي الصغيرة، دعينا نتقاتل».

صرخ أوثغار: «توقفا، واجلسا. لن يكون هناك قتال. صونا

لسانيكما، مثل هذه الإهانات غير مقبولة. أنتما لا تدركان ما تتفوهان به لأنكما منزعجتان».

ردّت إلسا: «أنا أدرك تماماً ما أقوله».

«لديكما خلفيتان مختلفتان تماماً. أصغيا إلى بعضكما، وخذا بعين الاعتبار المكان المختلف الذي أتت منه كل واحدة منكما، واعلما أن مصيركما قادكما إلى المكان نفسه، لقد فقدت كل واحدة منكما ما ظنته أنه أسرتها، ولن يؤدي قتالكما سوى إلى تعميق الشرخ بينكما. إذا أردنا إنقاذ أوين، ومنع الملك من أن يدمرنا جميعاً، فعلينا أن ننحي خلافاتنا جانباً ونعمل معاً»، وأشار بإصبعه إلى إلسا وقال: «إذا لم تسر الأمور بهذه الطريقة، فأنت لست أفضل من الملك». ثم أشار إلى كايا وقال: «وأنت لست أفضل من راغازار. انتهيت لتوي من شرح كيف يتسبب هذا في الكثير من الكراهية، أنتما شابتان ولديكما الكثير لتتعلماه، لكن يجب أن تكتشفا نفسيكما سريعاً، وإلا فقد لا نجد أنفسنا أبداً أحراراً وسعداء مرة أخرى. الآن اخلدا إلى النوم. لن نتحدث أكثر عن هذا الليلة».

جلست إلسا بجوار النار وهي تشعر بالغضب وتكزّ على أسنانها. كان أوثغار قزماً، ولكنها قررت تنفيذ أوامره احتراماً لعمره وحكمته، وفعلت كايا الشيء نفسه، ولكن بشكل أبطأ إضافة إلى شعورها بالذنب. تذمر أوثغار بينما سار باتجاه أكوام الحطب. على الرغم من تجنبها لأي تواصل بصري، إلا أن إلسا استطاعت سماع القوة التي ضرب فيها أوثغار الجمرات حين

رمى قطع الحطب بعنف، فتطايرت الشرارات في الهواء مثل البعوض الخائف.

مدّت إلسا ساقيها وأدارت ظهرها محدقة إلى النجوم بعينين واسعتين على الرغم من التعب الذي تشعر به. هزّ شخير أوثغار الأشبه بالبوق مقلتي عينيها وكأن قطيعاً من الوحوش المدوية قد جرى بجانبها مباشرة.

انبهرت بجمال القمر، وتساءلت إذا كان بإمكان أوين رؤيته، شكت في ذلك نظراً إلى أنه كان يجلس في ظلام القلعة وليس في البرد خارجاً مثلها.

لا تزال النار مشتعلة، لكن إلسا نهضت عن الأرض، وشرعت تزكيها بمزيد من الحطب لجعلها تدوم لفترة أطول. ثم جلست القرفصاء، وأولت ظهرها للنار لتدفئه. لم يتمكنوا من حزم أي شيء مفيد لأنهم كانوا في عجلة من أمرهم لمغادرة منزل أوثغار. كم كانت تشتاق إلى بطانية أو أي شيء آخر من شأنه أن يفصل جسدها عن الأرض الباردة والصلبة.

شعرت بدفء النار المريح، ولكن ذلك زاد من شعورها بالتعب.

«هل تمانعين إن انضممت إليكِ؟».

لم تسمع إلسا كايا وهي تنهض، ولكنها الآن تقف إلى يسارها وتبتسم بخجل.

19

أجابتها إلسا: «يبدو أنك لا تستطيعين النوم أنت الأخرى».

اشتكت كايا وهي تتثاءب: «صحيح، لا أستطيع النوم، خاصة وأن الملك يعزف سيمفونيته بجانب رأسي».

«وأنا أيضاً، على الأقل تبعث النار على الراحة».

تمتمت كايا: «نعم، حسناً... بشأن ما حصل في وقت سابق، لم أقصد...»

«انسي الأمر، أنا الأخرى كان ردّ فعلي مبالغاً فيه، أوثغار محق، لا يجدر بنا أن نتقاتل».

أومأت كايا: «حسناً».

سألتها إلسا: «هل يمكننا أن نصبح صديقتين؟».

بدت كايا مندهشة وأجابت: «بالطبع».

«أنا لا أغضب عادة بهذه السهولة، لكن كل ما في الأمر...».

صمتت إلسا إذ إنها لم ترغب في إعادة إذكاء الصراع بينهما.

«أنت لست معتادة على الأقزام، وها أنت عالقة مع اثنين منهما الآن. فهمت، لا بأس».

قالت إلسا ببطء: «نعم، هذا يبدو بغيضاً للغاية، لكن عليّ أن

أعترف أن هذا ما كنت أحاول قوله».

اعترفت كايا قائلة: «حسناً، راودني الشعور نفسه عندما طُلب مني العمل مع أوين للمرة الأولى، لكن بمجرد أن تعرفت إليه بدا مرحاً، وأدركت أنه يشبهني كثيراً. كما أنني أشعر بالحرج أحياناً معك أنت الأخرى، وكأنه يجب عليّ أن أتعلم كل شيء من جديد».

سألتها إلسا: «هل تعتقدين أننا سنعتاد على بعضنا؟».

«نعم، بالطبع».

«أودّ ذلك».

«كما تعلمين، إذا انتهى بنا المطاف بالنوم هنا ليلة الغد أيضاً فسنتجمد، أعتقد أن علينا التخييم في مكان ما بعيداً عن أوثغار».

ضحكت كايا قائلة: «هذا جنوني».

«لا أظنها فكرة سيئة. فإذا ركلناه بقوة، فربما سيتوقف لبعض الوقت».

شجّعتها كايا قائلة: «افعليها أنت، فأنا لا أريده أن يغضب مني».

«حسناً، عليّ الآن أن أحاول الخلود إلى النوم. أنا منهكة».

«أنا أيضاً».

تابع أوثغار شخيره، غير مدرك للسلام الذي عقد بين الفتاتين أثناء سباته العميق.

* * *

استيقظ أوثغار منتعشاً وهو يتثاءب بصخب ويتقلّب ببطء.

شعر بالألم في ظهره بسبب الأرض الصلبة، وهمس بصوت منخفض حتى لا يوقظ كايا أو إلسا: «لقد كبرت جداً على هذا».

تحرك ببطء وحذر شديدين فوق الطحالب والأوراق التي انتشرت في الغابة.

بدأ نور شمس الخريف ينتشر عبر الأغصان العارية فدفأ جسده المتيبس من البرد. ابتكر بالأمس ثلاثة أفخاخ ذات أوتاد وشرائط رفيعة من الجلد الذي قطعه من أسفل سترته.

بدت الخيبة على أوثغار وهو يقترب من الفخ الأول؛ فلم يمسه أي مخلوق وكان خالياً من أي شيء يمكنه أن يطهيه ليعد الفطور. ولكن تبيّن أن فخه الثاني كان أكثر فعالية حيث علق بداخله أرنب كبير في وقت ما من الليل، وقدم الفخ الثالث مزيداً من القوت فقد علق به أرنب آخر بفضل تخطيط أوثغار وعلمه».

توقف عند اقترابه من المخيم وهو يمسك بالأرنبين من قوائمهما الخلفية، وقد انتشرت أصوات ضحك مرحة عبر الأشجار، وهذا ما أثار دهشة القزم العجوز. عندما اقترب من المخيم، كانت إلسا وكايا تضحكان وتعاملان بعضهما بطريقة أكثر ودية عن الليلة السابقة عندما اشتبكتا حول النار.

قال أوثغار عندما اقترب من الفتاتين الضاحكتين: «من الجيد أن أراكما في هذه الروح المعنوية العالية منذ الصباح».

قالت إلسا: «صباح الخير»، ثم سألته: «ماذا تحمل؟».

«إنهما للفطور، سأطهوهما بمجرد أن أنتهي من سلخهما».

قالت كايا: «هذا رائع، أنا أشعر بالجوع، وتكاد طاقتي تنفد».

سأل أوثغار في الوقت الذي جلس فيه على جذع شجرة محطم: «هل حدث شيء ما خلال الليلة الماضية؟».

سألته كايا: «ماذا تقصد؟»، في الوقت الذي حركت فيه إلسا حربتها في الهواء متعاركة مع عدو وهمي.

«في الليلة الماضية، لم تكونا وديتين مع بعضكما».

ردت كايا: «حسناً، لقد وحّدَنا رابط مشترك».

قاطعتهما إلسا ضاحكة: «نعم، لم نستطع النوم بسبب شخيرك. من حسن حظك أنه لم يسمعك أحد ويأتي ليأسرنا»، قالت ذلك وهي تحرك حربتها على شكل دوائر، ثم أكملت: «ما كنا لنسمع أحداً إن أتى لأسرنا».

ضحكت كايا قائلة: «من المدهش أنك عثرت على حيوانات لم تهرب ليلاً. بصراحة، كان شخيرك فظيعاً. بالكاد نمنا».

رفع أوثغار حاجبه وابتسم للفتاتين قائلاً: «لم أعتقد أن الأمر بهذا السوء، إن كنت مكانكما، ما كنت لأضايق الشخص الذي يعد وجبتي. فأنتما لا تعرفان أبداً دور من سيأتي تالياً».

بدأت إلسا بالكلام، وقد جلست القرفصاء بالقرب من النار: «ما هي خططنا؟ هل سنبقى هنا لبعض الوقت، أو سنحاول الوصول إلى أوين؟ فلن يكون من الحكمة أن ننام ليلة أخرى في العراء، فالليالي تصبح أكثر برودة، وقريباً سيتساقط الثلج، وإن لم نعثر على مأوى، فمن غير المستبعد أن نتجمد».

بدورها قالت كايا وبدت أقل حماسة: «أوافقك الرأي، ولكن كيف يفترض بنا أن ندخل القلعة؟ سيكون هناك حراس

يبحثـون عنـا فـي كل مكان». كانـت تفكر في طريقة لإنقاذ أوين. لم تكن لتخبر الآخرين، ولكن كلما فكّرت أكثر في أوين، كلما تألمـت أكثـر؛ لقـد افتقـدت صديقها. أصبحت فكـرة إنقاذه أكثر كآبة مع كل خيار فكرت فيه. إذا اقتحموا القلعة، فسـوف يتفوق الأعـداء عليهـم عـدداً ولا تبدو فكرة الدخول عبر الأنفاق وكأنها أمر قابل للتطبيق أيضاً».

سألت إلسا وكأنها تقرأ أفكار كايا: «هل يمكننا الدخول عبر الأنفاق؟».

«لا أعتقـد ذلـك، أنـا أعرف الأنفاق جيداً، وبعضها لا يعرفه أحد، ولكنها جميعاً تقود إلى القلعة، والتي ستكون تحت المراقبة بلا شك ليلاً ونهاراً».

سألت إلسا على الرغم من شعورها بمقدار ضئيل من الأمل: «مـاذا لـو التقينـا راغـازار وجهاً لوجـه؟ أنت الملـك الحقيقي يا أوثغار، أليس من بين الأقزام أحد سيتبعك؟».

«هـذا ممكـن، لكـن راغازار وطد دعائـم حكمه، هناك عدد هائـل مـن التابعيـن لـه، فكثيرون من بني جنسـي يعتقـدون أنني انقلبـت عليهـم، ويعتقـدون أننـي تخليـت عنهـم منـذ سـنوات، ومعظمهـم لا يعرفـون مـن أنـا، يجب أن أعتـرف، ليس لديّ أي فكرة عن كيفية المضي قدماً».

نظرت كايا إلى السماء وكأنها تبحث عن إجابة؛ لقد شعرت هـي الأخـرى بألـم الشـك. طار غـراب فوق الأشـجار، وأرجح جسـده ذهاباً وإياباً، فانعكسـت عليه أشـعة الضوء، فتعجبت كايا

من انعكاس أشعة الشمس على جناحي الطائر، وبدا لها التناقض بين جسد الغراب الأسود والسحب البيضاء، لقد بدا لها الأمر كما لو أن الخير والشر يتقاتلان للحصول على أرضية مشتركة. بعد لحظات من التأرجح بخفة فوق الأشجار، نشر الغراب جناحيه، وأخرج مخالبه ليمسك بطرف الشجرة حيث حطّ، وهذا ما حرك قمة الشجرة ذهاباً وإياباً. فجأة، تبادرت فكرة في ذهن كايا بسرعة وصول الغراب إلى الشجرة.

صاحت باكية: «لديّ فكرة».

20

سألت إلسا بتشكك بينما ربطت بإحكام حبلاً غليظاً حول شجرة صنوبر كبيرة: «هل تعتقدين حقاً أن هذا سينجح؟»، ثم بدأت إلسا بلف وتحويل الخيوط الخشنة إلى عقدة كبيرة.

ردت كايا مبتهجة: «ما الخيارات الأخرى التي نملكها؟»؛ أوحت مشاهدة الغراب وهو يحطّ على قمة الأشجار فكرة تسلق الجبل وإلقاء الحبل والنزول بواسطته إلى سطح القلعة؛ لم تكن هناك أي وسيلة دخول ممكنة. وأضافت: «لا يمكننا عبور الأنفاق، ولا يمكننا الدخول من الأمام، لذلك سنهبط من الأعلى. علاوة على ذلك، علينا تجربة شيء ما».

حذّرها أوثغار قائلاً: «كوني حذرة يا كايا. لسوء الحظ، لن أتمكن أنا وإلسا من الدخول ومساعدتك إذا لم ينجح الأمر، فأنا...».

ابتسمت كايا مطمئنة وقالت: «شكراً، سأكون بخير. أعرف كيف أتعامل مع والدي»، على الرغم من الألم الشديد الذي شعرت به في معدتها كلما فكرت في لقائها مع راغازار.

نظرت إلسا إلى كايا بإعجاب؛ لقد أصبحتا صديقتين ليلة

أمس، والآن تشعر بالقلق وتخشى أن يصيب مكروه القزمة.

قالت إلسا: «حظاً طيباً. أتمنى أن تجدي والدك. سننتظرك هنا، وأبلغينا ما إن تتحدثي إليه، إذ سنضطر إلى الذهاب إليك إذا لم نسمع منك أي خبر عند حلول الظلام».

«لا، سيكون ذلك فعلاً عملاً أحمق، لا تقلقي، سأكون بخير. بمجرد أن تنجح خطتي في التسلل، فسأضع مشعلاً أمام نافذة مفتوحة في أعلى القلعة لترياه».

همست إلسا: «كوني بخير». ثم مدت ذراعيها وعانقت كايا التي قبلت بامتنان تلك المبادرة رغم أنها تفاجأت بها.

همست كايا: «سأكون بخير. شكراً لك».

أمسك أوثغار وإلسا الحبل بإحكام، وأرجعا جسديهما إلى الخلف للسيطرة على وزن كايا ومنعها من السقوط.

شعرت إلسا بالسعادة لأنها كانت تقف خلف أوثغار وتمسك بالحبل، فعلى الرغم من تقدم أوثغار في العمر، إلا أنه لا يزال قوياً للغاية؛ أقوى منها بكثير.

أمسكت كايا الحبل بإحكام بين يديها. لن يستغرق النزول وقتاً طويلاً، لكن ذلك لم يساعدها على تهدئة أعصابها، فبدأت تتعرق، وشعرت بالحبل ينزلق بين يديها وهي تتحرك إلى الأسفل، تحركت ببطء شديد أشبه باليرقة التي تخرج من شرنقتها.

لم يكن الخوف من السقوط هو ما أزعجها كثيراً، لكن اليأس الذي شعرت به وهي تتدلى في الهواء بينما لامست النسمات وجهها برفق. فإذا تعثرت إلسا وأوثغار وأفلتا الحبل،

فلا يمكنها القيام بشيء. طافت في الأعلى، واقتربت أكثر فأكثر من حافة القلعة. كانت تسعى للوصول إلى نافذة مفتوحة في أحد الأبراج؛ لم تكمن الصعوبة في النزول، بل في الطريقة التي ستأرجح بها جسدها ذهاباً وإياباً وصولاً إلى الحافة ثم العبور إلى داخل القلعة.

بمجرد أن وصلت إلى النافذة المفتوحة، لوحّت كايا بيدها، وأشارت إلى إلسا للتوقف عن إرخاء الحبل.

قالت إلسا لأوثغار: «لقد وصلت».

صرّح أوثغار: «سأثبت الحبل، أمسكيه بإحكام».

سرعان ما اقترب القزم العجوز من شجرة وهو يمسك بالحبل بقبضته القوية حيث ربطه حول جذعها وأنهى المهمة. تنفس أوثغار الصعداء بمجرد تأمينه للحبل حول جذع الشجرة وقال: «يمكنك أن تفلتيه الآن».

تركت إلسا الحبل ينزلق ببطء بين يديها، ثم جلست أرضاً وهي تنظر من فوق الحافة لتشاهد صديقتها.

أدركت كايا التي لاحظت تغير موقع إلسا أن الوقت حان للتأرجح، كما شعرت في الوقت نفسه بالخوف والراحة، فمدت كايا ساقيها إلى الأمام لبدء حركة رقاص الساعة، ثم ثنتهما بسرعة نحو جسدها، وسحبت الحبل في الوقت نفسه. في النهاية، بدأت في التأرجح، وأصبح نقل وزنها أكثر فاعلية. تأرجحت ذهاباً وإياباً، واشتدّت الرياح في وجهها مع تحرّك جسدها أبعد وأسرع وهي تتجه نحو النافذة المفتوحة. وما إن بدأت مخاوفها

تتلاشى، حتى تسللت الابتسامة إلى وجهها، كانت مثل طفل يتأرجح ببهجة في مهب الريح. دفعت جسدها بمزيد من القوة حتى أصبحت النافذة في متناول اليد. مدت ذراعها، ولمست أطراف أصابعها الحافة الحجرية برفق قبل أن تتراجع. همست لنفسها: «أكاد أنجح».

دفعت جسدها مرتين قبل أن تمد ذراعها للمرة الثانية، ودفعت جسدها إلى الأمام، ثم مدّت أصابعها إلى الداخل. فجأة، توقف جسدها عن التأرجح، وتمسكت بكل ما أوتيت من قوة، ثم أدخلت رأسها إلى الغرفة. لحسن الحظ، لم يكن فيها أحد ليحول دون دخولها، فتنهدت بارتياح، ثم رفعت جسدها ودفعت إحدى ساقيها إلى الغرفة الشاغرة بقدر ما استطاعت دون مساعدة الحبل. ثم أسرعت في فك الحبل عن خصرها وألقته خلفها. شاهدته يُسحب إلى الأعلى، وأدركت أن إلسا كانت تراقبها طوال الوقت.

تنفست كايا الصعداء فور دخولها، وقبل أن تتوجه نحو الباب، وضعت أذنها على السطح الخشبي واستمعت بعناية. وبمجرد أن تأكدت من عدم وجود أحد على الجانب الآخر، فتحت الباب وألقت نظرة خاطفة على الرواق.

لم يكن هناك ما يضيء البرج سوى ضوء الشمس الداخل من النافذة، رأت كايا أن المخرج الوحيد من هذا المكان كان درجاً مظلماً ومُنذراً بالشؤم. فتمتمت بصوت غير مسموع: «هذا عظيم».

مـدّت يدهـا علـى الحائط ببطء، ونزلـت الدرج بحذر، وقد ازداد الدرج الحجري ظلمة مع كل خطوة، وارتجفت من البرد، وتسـاءلت عن المدة التي مرت منذ أن عبر فيها أي شـخص هذا الممر.

فجأة، انزلقت قدمها وفقدت توازنها. صاحت بخوف غير قادرة على رؤية المكان الذي ستسقط فيه. لقد ارتد رأسها عن الأرض بفعل الصدمة، واصطدمت ذراعها اليسرى أيضاً بحجر غيـر مرئـي. أخيـراً، توقفت عن الحركة، وقد سـال سـائل دافئ مبلـلاً سـاعدها، فافترضـت أنه دم، فأمسـكت بذراعها، وبكت بصمت.

رفعت جسدها في محاولة منها للوقوف، لكنها أدركت أنها قد تقع مجدداً، لذا جلست واستشعرت الطريق بيديها وقدميها. في الوقت الذي لم تستطع فيه التحكم بالألم، استطاعت التحكم في سرعتها وعدم السماح لنفسها بالسقوط مرة ثانية.

واصلـت كايـا التحـرك بحـذر شـديد ونزلت الـدرج البارد المتعـرج حتـى ظهـر الضـوء أخيـراً؛ لقد وصلت إلـى القاع. في البداية، شعرت بالضوء يؤذي عينيها، لكنها شعرت بسعادة غامرة.

بـدأت كايـا السـير في الممر المضـاء، وحرصت على إبقاء رأسـها منخفضاً. لم يكن لديها فكرة إلى أين هي ذاهبة، وكانت تخشى أن يتعرف إليها أحد.

فجـأة، ظهر جسـد أمامهـا. أزاحت كايا نظرهـا على الفور، وأبقت رأسـها منخفضاً، ونظرت إلى قدميها، وقد شـعرت بتوتر

أعصابها، وبأن قلبها يكاد ينفجر عندما رأت أحدهم يتقدم بسرعة نحوها.

قالت في سرها: «من فضلك لا تتوقف، من فضلك لا تتوقف».

اقترب القزم أكثر فأكثر، وقاتلت كايا الرغبة في القفز على القزم والصراخ؛ فقد كانت مرعوبة. لقد سبق لها أن احتجزت في الزنازين، وهي لا تريد أن تكرر التجربة.

حبست أنفاسها في الوقت الذي سار فيه القزم إلى جانبها، ثم أغمضت عينيها، ومضت في سبيلها، وعندما فتحتهما مجدداً لم تجد أثراً للقزم، بل سمعت صوت خطواته؛ لقد أصبحت تفصلها عنه مسافة لا بأس بها.

تنفست الصعداء وتابعت تقدمها بهدوء.

بعد ذلك، وعندما لم تعد تسمع صوت خطوات، شعرت بغصة في حلقها عندما نادى صوت: «كايا»

في البدء، تابعت تقدمها، وقالت في سرها: «لا أرجوك».

نادى الصوت مجدداً: «كايا، هل هذه أنتِ؟»، كان صوت أنثى شابة تقاربها عمراً.

توقفت كايا واستدارت لتصبح بمواجهة الفتاة، وهي على أهبة الاستعداد للقتال إن دعت الحاجة. بدت الفتاة مندهشة وسألتها قائلة: «هذه أنت، ما الذي تفعلينه هنا؟».

لم تعرف كايا بما تجيب. كانت الفتاة أقصر منها قليلاً، وفي غاية الجمال، كان شعرها أحمر طويلاً، وعيناها زرقاوين، لقد

بـدت لطيفـة، وهـي صفة نـادرة لدى الأقزام. لم يبدُ أنها تشـكل تهديـداً علـى الإطـلاق. وإذا حصل قتال، فلا شـك أن لكايا اليد العليا.

أحكمت قبضتها من باب الحيطة.

قضـت كايـا الكثيـر من الوقت في التفكير في المحادثة التي أرادت أن تجريهـا مـع والدهـا، لدرجـة أنهـا لـم تفكـر حتى في التحدث إلى أي شـخص آخر. قالت: «أنا...»، توقفت فجأة، ثم تابعت: «أنا أبحث عن والدي».

لمَ الكذب؟ ما الذي كان عليها أن تخفيه؟

نعـم، قـد يلقـى بها مجـدداً في الزنزانة، لكـن لم يكن هناك طريقة لإخفاء نواياها.

سألتها الفتاة: «سمعت أنك هربت، لماذا تخاطرين بالعودة إلى هنا؟ ماذا لو قبضوا عليك؟».

تفاجأت كايا واستفسرت سائلة: «أنت لن تسلميني؟».

أجابت الفتاة باستخفاف: «لا...».

همسـت كايـا: «شـكراً لك»، ولم تعرف كيـف يجدر بها أن تتعامل مع الفتاة.

تحدثت الفتاة وهي تشعر بالإحراج: «لقد تغير والدك».

لاحظت كايا أن الفتاة تختار كلماتها بعناية.

سألتها كايا: «ماذا تقصدين؟».

أجابتهـا الفتـاة: «لا أعـرف، يبـدو لي أنه جُـن. من الصعب أن أشـرح لك، فهو يبقى في غرفة العرش، ويتمتم، لا أسـتطيع

سماعه، ولكنه ذكر اسمك عدة مرات».

سألتها كايا: «هل تعملين لديه؟».

«نعم، أنا خادمته. في الواقع، لقد طلب مني أن أجلب له النبيذ. يجب أن أحضره له قبل أن يصب جام غضبه عليّ، ليكن الحظ إلى جانبك يا كايا».

لم تلحظ كايا أن الفتاة كانت تحمل إبريقاً ذهبياً.

صاحت لها: «هذا رائع، انتظري، سأتبعك. اسمحي لي بحمل الإبريق حتى لا أثير شكوك أحد».

أجابت الفتاة: «هذه فكرة جيدة»، ثم وضعت الإبريق بين يدي كايا الممدودتين وقالت: «اتبعيني».

أبقت كايا رأسها منخفضاً، وتابعت السير خلف الفتاة مباشرة. كانت كايا في عجلة من أمرها ومرتبكة للغاية لدرجة أنها لم تسأل حتى الفتاة عن اسمها. ما الذي قصدته بقول إن والدها قد جُن؟ كان وقع خطواتهما منسجماً، وأصدرتا صوت طقطقة على الأرضية الرخامية الجميلة. انزلق قلب كايا مثل سمك السلمون في مجرى مائي مع مرور كل قزم بجانبها، لكن لحسن الحظ لم يعرها أحدهم اهتماماً.

توقفت الفتاة وتنفست بعمق، واستعدت قبل أن تفتح باب غرفة العرش، وتقدمت بحذر شديد. أضاءت أشعة الشمس الساطعة الغرفة من النوافذ الكبيرة وصولاً إلى السقف المذهّب. صحيح أنه سبق لكايا أن جلست هنا مع والدها، إلا أن جمال الغرفة ما زال يملأها بالدهشة والرهبة.

تألقت كل قطعة أثاث، وبدت مثل النجوم في سماء الليل، لقد كانت صورة ستواجه صعوبة في وصفها لأي شخص لم يرها بنفسه.

سأل راغازار الفتاة وهو يجلس على عرشه: «لماذا تأخرت؟».

أجابت الفتاة وهي تمشي في الغرفة الواسعة: «أنا آسفة يا مولاي».

جلس راغازار لوحده في تلك الغرفة الفسيحة، وصاح بغضب عندما لا حظ أن الفتاة لا تحمل شيئاً: «حسناً، أين نبيذي؟ ومن هذه؟».

تقدمت كايا، ونظرت إلى والدها تاركة الإبريق يسقط إلى جنبها، ثم ابتسمت بخنوع قائلة: «مرحباً يا أبي».

خفت صوت راغازار وهو يسأل: «كايا؟».

قالت كايا: «لقد وجدت طريقة للدخول، لا تتصرف وكأنك متفاجئ. يجب أن نتكلم»؛ لقد أصبح صوتها حاسماً دون أن تدرك ذلك، وقد شعرت بالغضب يعتمل في داخلها. لقد تخيلت هذه اللحظة مليون مرة في ذهنها، لكنها وجدت نفسها خائفة من والدها في كل سيناريو. بدا الموقف وكأنها تحاول تهدئة غضب والدها. ولكن في تلك اللحظة، وبعد أن وقفت أمامه، تراكمت جميع الأحداث التي سبقت هذه اللحظة في ذهنها.

رأت والدها يأمر بأخذها من أمامه، واستعادت ذكريات أتباعه وهم يلقون بها في الزنزانة، وتذكرت الجوع والعطش اللذين شعرت بهما، والأيام التي أمضتها تبكي وتنظر من النافذة

الصغيرة متمنية أن تكون في أي مكان آخر عدا تلك الزنزانة، وتذكرت أوين عندما فتح باب الزنزانة وأطلق سراحها. أوين، صديقها الذي حاول راغازار قتله. فهي لم تستطع منع هذه الصور من التشكل في رأسها، ولا الألم في بطنها الذي جعلها تشعر بالحرارة، كما شعرت بوخز في ذراعيها وساقيها على الرغم من رطوبة العرق الذي سال على جسدها.

أخيراً، قال راغازار: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

صرخت قائلة: «ليس لديك الحق في الجلوس على هذا العرش يا أبي».

همس راغازار: «صغيرتي»، ثم نظر إلى كايا، وساد صمت غير مريح في الغرفة لثوانٍ قليلة.

أخيراً، قفز راغازار عن العرش، واقترب بسرعة من ابنته، الأمر الذي جعلها تتراجع وهي تستعد للدفاع عن نفسها، لكنها توقفت وشعرت بالارتباك عندما عانقها بحرارة.

«حمداً لله أنك بخير يا صغيرتي».

تعجبت كايا سائلة: «ماذا؟! هل أنت سعيد لأنني هنا وبأمان؟»، ودفعت والدها بعيداً عنها.

صاح راغازار وتوسل إليها قائلاً: «بالطبع، أنا آسف جداً يا صغيرتي. لقد ارتكبت خطأ فادحاً في إبعادك. لقد عرفت ذلك على الفور، وذهبت إلى الزنازين بنفسي لأعيدك إلى المنزل، ولكنني وجدت زنزانتك مفتوحة. لقد أسأت التصرف، فهل ستسامحينني يا ابنتي؟ أرجوك سامحيني».

وقفت كايا محتارة، فهي لم تتوقع مثل هذا الاستقبال.

بدأت بالكلام: «أنا... لا أعرف ما أقول».

«قولي إنك سامحتني، لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء في الحكم».

سخرت كايا قائلة: «لست بحاجة لتخبرني عن أخطائك في الحكم، لا أريد أن أفكر في ما سيفعله بك أوثغار عندما يصل إلى هنا».

سألها: «هل هو هنا؟ أرجوكِ أخبريني أنه بخير أيضاً». وقد اتسعت عينا راغازار بالأمل، وبدا وكأنه طفل.

«إنه على ما يرام، وهو ليس بعيداً عن هنا».

«ممتاز، علينا أن نرسل خبراً إليه. لقد خشيت أن يؤذيك رجال الملك، فلا أحد يعرف ما يمكن لهؤلاء الحمقى أن يقدموا عليه. لماذا لم يأتِ أوثغار معك؟».

ضحكت كايا بصوت عالٍ قائلة: «هل تعتقد حقاً أنه سيأتي إلى هنا وهو يعلم أنه ليس بأمان؟ لقد بقي مع إلسا».

اتسعت عينا راغازار أكثر من أي وقت مضى وقال: «إلسا، ابنة ملك البشر...؟».

دهشت كايا وسألته: «هل تعرفها؟».

أجابها: «نعم، لقد سمعت الكثير عنها. يقولون في المناجم أنها تخلت عن الملك، فهل هذا صحيح؟».

قالت كايا بفخر: «إنها حيث تنتمي الآن».

«فهمت، لقد تعرفتما إلى بعضكما، هل هذا صحيح؟».

«نعم يا أبي».

«علينا أن ندعوهما ليأتيا إلى هنا، لا بدّ من أنكم تتضورون جوعاً. يجب أن يستعيد أوثغار عرشه، ويجب حماية إلسا، وأنت يـا ابنتـي الجميلـة». مدّ راغازار يديه ممسـكاً بكتفي كايا بإحكام وهـو يبتسـم لهـا، ثم تابع: «أنا سـعيد جداً بعودتـك إلى المنزل. أنـا آسـف جـداً لأنك اضطـررت إلى المرور بكل هـذا، أرجوك سامحيني. لم أرد أن تسير الأمور بهذه الطريقة».

ابتسمت كايا بينما عانقها والدها مرة أخرى.

21

سارت إلسا بجانب أوثغار حيث رافقتهما مجموعة من ستة حـراس مفتولـي العضلات، لاحظت أنهم جميعـاً طويلو اللحى التي بدت شـعورها خليطاً من الأبيض والأسـود والأحمر. لقد شـعرت بعـدم الارتيـاح عندما شـقوا طريقهم نحـو غرفة العرش حيث كان بانتظارهما كل من كايا وراغازار.

جثمـا علـى الجبـل فوق القلعة لبعض الوقت قبل أن يصبح ضوء المشـعل مرئياً من النافذة حيث دخلت كايا. لوّحت إلسـا بيدها غاضبة عندما برز رأس كايا بجانب ضوء المشعل.

توجهـت هـي وأوثغار إلـى بوابات القلعة حيث اسـتقبلهما الحراس ومهدوا الطريق لوصولهما.

شعرت أن القلعة أكثر دفئاً وإشراقاً من الجدران الداكنة التي نشـأت بداخلهـا. حدقت إلسـا برهبة إلـى الذهب اللامع في كل مكان، وإلى الجدران التي رصعت بالذهب والجواهر.

انعكس الضوء في كل مكان نظرت إليه عيناها، وفكّرت في أن الأقزام عملوا لسنوات لصنع هذه الأشياء البديعة.

مدت إلسا عنقها إلى الأمام ما إن أصبحت أمام غرفة العرش

وهما ينتظران البوابة التي كانت تفتح ببطء، وشعرت بقبضة على ساعدها، وعندما نظرت إلى الأسفل رأت أوثغار يومئ إليها ليشعرها بالاطمئنان. ردت عليه إلسا بابتسامة على الرغم من شعورها وكأنها بعوضة محاطة بالعناكب.

صاح راغازار عند دخولهما غرفة العرش قائلاً: «مرحباً، مرحباً بالأصدقاء».

شعر أوثغار وإلسا على الحال أن هناك أمراً مريباً، فسأل أوثغار: «أين كايا؟»، متجاهلاً ما كان يتظاهر به راغازار من سعادة.

تظاهر راغازار بالاهتمام وقال: «لقد ذهبت لتناول الطعام والاستحمام. ستلتحقان بها قريباً، فأنا متأكد من أن رحلتكما كانت صعبة للغاية».

ألحّ أوثغار قائلاً: «لماذا تضع تاجي؟ لقد حان الوقت للتنحي عن الحكم يا راغازار، لقد خنتني، ويجب أن تحاسب».

«لماذا يا أوثغار؟ لقد جرحت مشاعري. هل تعتقد حقاً أنني أنوي إهانتك بعد أن أحضرتك إلى المنزل؟».

صاح أوثغار: «أين أوين؟ لماذا الحراس يحيطون بنا؟ آمرك بإطلاق سراحنا الآن».

أغمض راغازار عينيه وبدّل طريقة تصرفه، وقد تغير سلوكه على الفور، ثم قال ساخراً: «حسناً، حاولت أن أكون لطيفاً. لقد انتهى حكمك، والآن أنا ملك الأقزام، ستركع وتخاطبني قائلاً يا مولاي. قل ذلك، وعندها سأفكر في الإبقاء على حياتك».

صاح أوثغار: «هذا مستحيل».

«اقبضوا عليه، وأعيدوه مجدداً إلى الزنزانة التي فر منها، سأتركه يتعفن هناك حتى يقوم بما طلبته منه».

حاول أوثغار الاحتجاج، لكن قواه خارت على الفور بفعل القوة الهائلة للحراس من حوله. ركل وضرب، لكنه توقف على الفور عندما أصابت لكمة فمه فهوى أرضاً.

راقبت إلسا حارسين يسحبانه من كتفيه خارج الغرفة وصاحت: «أوثغار». بكت وركضت لإنقاذ صديقها. فما كان من الحراس الباقين إلا أن تصدوا لها على الفور، وأسقطوها أرضاً، وقيّدوا يديها خلف ظهرها.

خاطبها راغازار قائلاً: «حسناً يا إلسا. أنت تخونين والدك وتساعدين من يعارضون سلطته».

صرخت إلسا قائلة: «ستنال عقابك أيها الشرير، فلن أدعك تفلت بفعلتك هذه».

ضحك راغازار قائلاً: «سوف أفلت من العقاب يا إلسا، ستدركين كم كانت مغامرتك الصغيرة خطأ فادحاً عندما أعيدك إلى والدك. رجال والدك في طريقهم لاستعادتك؛ لقد أرسلت إليهم منذ بعض الوقت، ومن المفترض أن يصلوا قريباً».

سألته إلسا: «كيف عرفت أننا قادمان؟».

ارتفع صوت راغازار فجأة وقال: «أنا ملك، أرى كل شيء وأعرف كل شيء. فأنا حاكم حقيقي مثل والدك تماماً. لا تتحرك حشرة أو طائر من دون أن نعلم بذلك. كان من الممكن أن نأسرك منذ أيام، ولكننا رأينا أنه من الأسهل الانتظار ريثما تأتين إلينا

بقدميك، لقد علمني والدك أشياء كثيرة»، ثم ضحك مرة أخرى.

صاحت إلسا قائلة: «توقف عن مناداته بوالدي، فأنت تعلم أنه ليس كذلك».

«حسناً، صحيح أنك لست من صلبه، ولكنك ترعرعت في كفنه، وما كنت لتصبحي محاربة قوية لولاه. ما الذي يمكن للرجل أن يفعله أكثر من تعليم الطفل امتلاك هذه الميزات على أمل أن تتبعي طريقك الخاص عندما تكبرين؟».

أجابت إلسا: «وكأنك تعرف أي شيء عن الأبوة. ألست من رمى ابنته في الزنزانة، وهي التي كانت تتبعك وتحبك. أنت وصمة عار ستلطخ جبين كل قزم شريف». لقد كانت تعرف أن راغازار لا يجرؤ على أذيتها، لأنه يعرف أن ملك البشر يريدها حية. إن تمكنت من استفزازه، فلربما...

استخفّ راغازار بالإهانة ولوّح بيده قائلاً: «كم أنت قاسية أيتها الطفلة! قاسية جداً. لا تضيعي وقتي بمثل هذا الغضب الفارغ».

ردت إلسا بغضب: «سينتهي أمرك بمجرد أن يعرف الجميع كم أنت شخص مجنون».

عندها قال لها راغازار: «أنا أشك في ذلك، فنحن جميعاً متشابهون؛ البشر والأقزام؛ ونجد أن الخضوع هو الحل الأفضل عندما نخاف من شيء ما، ولا نسمح لأنفسنا بالوقوف في وجه شيء أقوى منا، حتى لو علمنا أنه من الخطأ التراجع وعدم القيام بأي شيء، فهذا يعد من طبيعتنا. لا يوجد أبطال يا إلسا، لا أنت

ولا أوثغار ولا حتى أوين. سيستسلم الجميع في النهاية، بمن فيهم أنت، وسيتلاشى غضبك مع الوقت، وستجدين أنه من الأسهل السماح لشخص آخر بالقتال مكانك، ففي نهاية الأمر ستخضعين لقوة أعلى منك».

ردت إلسا: «أنت مجنون».

أجاب: «حسناً، أنا أميل إلى التفكيرَ في نفسي على أنني شخص واقعي. أنا لا أختبئ خلف الذرائع، فملك البشر أقوى من أي شخص آخر، بمن فيهم أنت، لذا، بدلاً من محاربته فأنا أقف إلى جانبه».

صرخت إلسا قائلة: «لماذا تفعل شيئاً بهذا الغباء؟ هذا غير منطقي، يجب أن تحمي شعبك كما يفعل أوثغار. لهذا السبب هو ملك حقيقي»، قالت ذلك وهي تحاول أن تفلت من قبضة الحارسين.

أجابها: «المزيد من الإهانات مرة أخرى؟ على العكس، أنا لست غبياً. ألا ترين أنني أحمي الأقزام؟ إنهم يخدمون غرضاً في حياتهم إذا بقوا يعملون، لكننا قد نموت إذا قاتلنا ملك البشر. في هذه الحالة، لا أعتقد أن الانحياز إلى الجانب الذي يسمح لنا بالبقاء على قيد الحياة هو تصرف غبي. إنهم يجهلون ما يدور حولهم عندما يكونون منهمكين في العمل، إنهم راضون عن عمل المناجم من أجل الصالح العام لجميع الأقزام، فلا حرج في ذلك. ومن المؤكد أنهم قد يفتقدون بعضاً من سعادتهم، ويصبحون أقل تركيزاً على المجتمع، ويقضون وقتاً أقل في

الإبداع، ولكن يجب تقديم التضحيات في بعض الأحيان».

لم تستطع إلسا فهم كيف صدق راغازار هذه الكلمات، وشعرت بالدهشة والقرف.

صاحت قائلة: «أنت مجنون. هل ستسلبهم ثقافتهم، وتدمر هويتهم؟».

اعترف راغازار دون إظهار أي عاطفة: «نعم، إن اضطررت».

نظرت إلسا إلى الحارسين اللذين يمسكان بها وناشدتهما قائلة: «هل سمعتما ماذا قال؟ كيف تدعانه يفعل هذا؟ هل هذه هي الحياة التي تريدانها؟». لكن الحارسين ظلا يحكمان قبضتيهما عليها من دون شفقة.

فجأة، أوقفت طرقة مدوية الصراع.

قال راغازار بارتياح: «توقيت رائع، لقد تحملت هذه المحادثة. فالأطفال لا يفهمون أبداً الجوانب المهمة في الحياة، دعينا نلق نظرة على جوانب حكم المملكة»، ضحك راغازار في وجه إلسا ثم صاح: «ادخلا».

دخل جنديان بشريان الغرفة، وبدا أنهما يعرفان ما الذي أتيا من أجله.

قال أحدهما: «يقدر الملك جهودك، ويودّ حضورك حين عودة ابنته إليه»، لم تكن هناك حياة في كلماته، بل اتّسمت بالبرودة تماماً.

«ممتاز. إنني أتطلع إلى هذه الفرصة. أيها الرجل المحترم، أيمكنك إبقاء إلسا صامتة أثناء الرحلة؟».

أومأ الجنديان برأسيهما معلنين فهمهما لقصد راغازار، ثم لفّا قطعة قماش حول فم إلسا وربطاها خلف رأسها. حاولت الصراخ، لكن لم ينبثق من فمها سوى ضوضاء مكتومة. امتلأت عيناها بالدموع وهي تكافح، لكن الجنديين كانا قويين للغاية. في النهاية، سمحت لهما بأخذها، إذ ستتسبب المقاومة بمزيد من الألم.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

22

استيقظ أوين من كابوس رهيب، إذ حلم بوالدته تبكي، ولم يعرف السبب، ولم يتمكن من الوصول إليها لأنه كان مقيداً، وعندما فتح عينيه ببطء، تذكّر الغرفة المظلمة الرطبة التي احتُجز فيها.

ظل الرجل العجوز الذي كان يزوره يحضر له الماء والطعام كلما استطاع التسلل من دون أن يلاحظه أحد. تطلّع أوين إلى زياراته، لأنها كانت التفاعل الوحيد بينه وبين أي شخص. لم يكن لديه فكرة عن المدة التي قضاها هنا، لكن كانت الساعات التي بقي بمفرده فيها لا تحتمل. قلّب بين عواطفه مثل عجلة تدور ببطء، وتحدث كل جزء منها عن شعور مختلف. ظهرت حوافز مفاجئة للقوة والغضب على أوين وسحب السلاسل على أمل التحرر.

صرخ مثل دب غاضب، وتألم عندما عرف أنه لا يمتلك من القوة ما يكفي لتحطيم الأصفاد، فاستسلم وهو يشعر بالحزن.

شعر بالقلق على أوثغار وإلسا وكايا ووالدته، وانهمرت الدموع على وجنتيه واهتز جسده مع كل تنهيدة.

زاره الرجل العجوز خلال إحدى هذه اللحظات، وسأله: «لسنا أقوياء كما نتخيل في بعض الأحيان، أليس كذلك؟».

لم يسمعه أوين وهو يدخل الغرفة بعد خيبة الأمل الأخيرة.

أخيراً أجابه أوين: «لا»، وحاول إخفاء دموعه بيأس على الرغم من علمه أن الوقت قد فات. لقد شعر بإحراج كبير، ثم قال: « يجب ألا تكون هنا. إذا رآك أحدهم...».

«لا بأس. الملك مشغول، ولن يأتي إلى هنا لبعض الوقت».

لم يقل أوين شيئاً، ولم ينظر إلى الرجل العجوز، فهو لم يرد أن يرى الدموع في عينيه.

قال الرجل: «لا بأس في البكاء».

«لا، إنه يظهر الضعف، سيشعر الملك بالسعادة إن رأى دموعي».

«لماذا؟».

«لأنه سيشعر أن اليد العليا أصبحت له، ولا يمكنني أن أسمح له بذلك. يجب أن أظهر أنني أقوى منه».

ضحك الرجل العجوز وقال: «أعتقد أنك قمت بذلك بالفعل، فمن المؤكد أنك أربكت مخططاته. اسمعني جيداً، على الرغم من أنك مسجون، إلا أنك لم تستسلم، فهو يحاول تحطيمك، ويريدك أن تشعر بالحزن والألم. هذا هو الهدف من وضعك هنا. لكنك لم تنهر أو تستسلم على الرغم من أن معظم الناس ينهارون على الفور. هل تذكر عندما طلبت منك أن تخبره بما يريد سماعه والمضي قدماً؟».

همس أوين: «نعم، لقد بدأت أفكر أنه كان يجدر بي القيام بذلك، ربما يجب أن أستسلم وحسب».

صاح الرجل العجوز: «حسناً، أنت مخطئ»، احتدّ صوت العجوز عند قوله كلمة «مخطئ» وفاق توقعات أوين لما يمكن لجسده الضعيف أن يُقدّمه من قوة.

سأله أوين وهو ينظر إليه للمرة الأولى منذ أن دخل: «لماذا غيّرت رأيك؟».

أجابه العجوز: «لأنك جعلتني أدرك شيئاً مهماً، أنا كبير في السن، ولن أعيش كثيراً، فاضطررت أن أعيش كل حياتي وأنا على معرفة بأنني استسلمت. كان عليّ أن أتحمل، لكنني استسلمت. الآن، يجب أن أموت وأنا أعلم أنني كنت تحت سيطرة شخص آخر، كنت أستطيع مساعدة الآخرين، وكنت أستطيع محاولة إيقاف الملك، لكن ها أنا ذا عجوز واهن، وعبد للشخص الذي أكرهه أكثر من أي شخص آخر. أنا لست مثلك الآن، فأنت أقوى بكثير مما كنت عليه أنا في أي وقت مضى. لقد قمتَ بما عجز الآخرون عن فعله، لقد حاربت رجال الملك، حتى إنك قاتلت ذلك التنين الكبير وانتصرت. أنا أنظر إليك وأرى شيئاً مميزاً، وأعتقد أن الآخرين يرون ذلك أيضاً».

«حظيت بالكثير من الوقت للتفكير أثناء وجودي هنا، وظننت أن أصدقائي سيأتون لإنقاذي. لقد بدأت أفكر في أسوأ الاحتمالات؛ ربما أصابهم مكروه».

«لا تفكر في الاستسلام، تذكّر يا أوين أنه عندما تسوء

الأمـور فستتحسـن مجـدداً لا محال. أنـت تعرف أنني أثق بك، وأعتقـد أنـك سـتخرج من هـذا المأزق بخير. أعتقـد أن الناس يثقـون بالقائـد الحقيقـي، الشـخص الذي يتقدم ويسـاعد حتى عندما يكون الآخرون خائفين، عندما يرى الناس شخصاً مثلك يبـدؤون فـي التفكيـر أن بإمكانهم أن يصبحوا أشـخاصاً أفضل أيضاً».

التوت شفتا أوين وقال: «شكراً. أنا لا أعرف اسمك».

ضحـك الرجـل العجـوز وقال مبتسـماً: «هـذا مضحك، لم يسألني أحد عن اسمي طيلة سنوات، اسمي مارفن».

أجاب أوين بابتسامة: «شكراً يا مارفن».

«مـن الأفضـل أن أذهـب. لكـن لحظـة... كدت أن أنسـى. لقد جلبت لك شـيئاً معي»، رفع مارفن يديه القذرتين إلى أوين وأطعمـه بضـع قطـع مـن التفـاح الأحمـر ثـم قال: «ستسـاعدك وتمنحك شيئاً من الطاقة».

قبل أوين الهدية بلهفة.

اسـتدار مارفن ومشـى مبتعداً، فناداه أوين سائلاً إياه: «لماذا تخاطر بمساعدتي؟».

ابتسم مارفن قائلاً: «لأنني أثق بك».

لقد حصلت هذه المحادثة بالأمس، أو هذا ما ظنه، فهو لا يسـتطيع معرفـة الليـل مـن النهار في هذه الغرفـة التي لا يدخلها نور الشمس.

جلس أوين وحيداً، وتمنى أن يعود مارفن بمزيد من التفاح،

ويقـول لـه مزيـداً من الكلمات المشـجعة، فقد كان مذاق كليهما رائعاً.

غالباً ما نظر إلى درعه وسـيفه، وتمنى أن يتحرر من قيوده. فـي كثيـر مـن الأحيان فكّر بالأمر، فقـد تخيل تلك الصورة مراراً وتكـراراً لدرجـة أنـه بدأ يتألم عندمـا أدرك حقيقة أنه مجرد حلم وليس حقيقة.

فجـأة، سـمع ضوضـاء فـي الخـارج، وفـي غضـون ثـوان، انفتحت أبواب الغرفة على مصراعيها، وسـطع ضوء قوي، هذه المرة لم يكن الملك وحده، بل رافقه آخرون.

شـرح راغـازار قائـلاً: «كنت أعلم أنهم سـيأتون إليّ، لذلك انتظـرت بصبـر، وكانـت كايا أول من وصل، لقـد خدعتها لتظنّ أنها سـتكون هي والآخران بأمان، لقد أتوا كما توقعت». تعرّف أوين إلى الصوت في الحال، واستشاط غضباً. قبض يده وعض شفته متمنياً لو أنه يستطيع القفز وضرب القزم الغدّار.

عندما دخلت المجموعة الغرفة، أحصى أوين وجود خمسة أشخاص. الملك راغازار، واثنان من أتباعه، ودُهش لرؤيته إلسا وهي تجر إلى الداخل، أراد أن يناديها، لكنه لم يتمكن من نطق أي كلمة.

سأله الملك: «أين الاثنان الآخران؟».

أجابه راغازار بفخر: «إنهما قيد الاحتجاز في الوقت الحالي».

صـاح الملـك قائـلاً: «لماذا لـم تنهِ مهمتـك؟ أخبرتك أنني أردت أن تختفـي الفتـاة المنفيـة مـن هـذه الأرض تماماً. أمرتك

بإحضار أوثغار إليّ. احرص على أن تجلبهما».

بـدأ راغـازار يتصبـب عرقاً وقال: «نعم، لقد أمرتني بذلك يا مولاي».

بـدا مـن صوتـه أنه يشـعر بالرعب، ورأى أويـن الخوف في عينيه.

سـأل آمـلاً: «تبقـى كايـا ابنتـي، صحيـح أنهـا خرجـت عن طوعي، وإن اكتشفت الخطأ الذي ارتكبته، وطلبت السماح، فلن أستطيع إلا أن أسامحها، أنا متأكد من أنك تفهمني أليس كذلك يا مولاي؟».

أجابه الملك باستخفاف: «أنا أفهم أنك لا تتبع أوامري».

عندهـا قـال أويـن: «لن تكون هذه المرة الأولى التي يحاول فيها تدمير عائلة، أليس كذلك يا إلسا؟».

اتجهـت كل الأنظـار إلـى أوين الذي ابتسـم بالرغم من كل ما يعاني منه.

أمره الملك: «صن لسانك يا فتى».

ردّ عليـه أويـن: «ألا تحـب سـماع الحقيقـة؟ سـرقت طفلة مـن عائلتهـا، ثـم كذبت عليها، وأوهمتها أنـك والدها. أنت تثير اشمئزازي».

نظرت إلسـا إلى أوين بعينين متسـعتين كما لو كانت تطلب منه التوقف عن الكلام غير مصدقة ما كان يقوله.

حـذّره الملـك قائلاً: «للمرة الأخيرة أقول لك اصمت، وإلا سأعاقبك، وسأجعلك تتألم كم لم يسبق لك أن تألمت».

خاطبه أوين قائلاً: «افعل ما تريد، فأنا لا أهتم. لقد حاولت تدمير عائلتي، لكن الرباط الأسري لا يمكنك أن تفعل شيئاً حياله، إلسا تعرف الحقيقة، وسأبقى إلى جانبها مهما فعلت بي».

قوبل سلوك أوين الهادئ بنظرة حيرة من الملك.

أجاب الملك: «حسناً، فليكن»، ثم رفع يده في الهواء، وارتدّت ذراعه إلى الخلف قليلاً بفعل الصدمة، ضربت صاعقة كهربائية صدر أوين، فصرخت إلسا عندما رأت أن أخاها وقد أغمض عينيه، وارتخى في قيوده، وبدا أن الحياة قد فارقته.

صرخت إلسا قائلة: «ماذا فعلت؟».

أجاب الملك: «لا تخافي، لقد أسكته لفترة قصيرة، فقد سئمت ثرثرته».

قال راغازار مبتسماً: «أحسنت يا سيدي».

بكت إلسا وقالت: «هذا يكفي، لا تشجعه. أنت شرير مثله».

ضحك راغازار وقال: «ربما يمكنها تجربة العقاب نفسه، أليس كذلك يا مولاي؟».

ضاقت عينا الملك على الفور، ونظر بغضب إلى راغازار وسأله: «ماذا قلت للتو؟».

سأل وهو يقترب من القزم مثل ثعبان يزحف لمهاجمة فريسته.

تراجع راغازار قليلاً وهو يتعرق خوفاً وذُعراً وقال: «كنت أمزح فقط يا مولاي، كنت أقول فقط إنه ربما... سيكون...».

سأله الملك ببرود: «هل تطلب مني أن ألحق عذاباً وألماً بابنتي؟ هل هذا ما قلته لي للتو؟».

أجابه راغازار: «لا يا مولاي، كنت أمازحك وحسب، كنت...».

حلّ محلّ صوت راغازار طنين الكهرباء عندما ألقى الملك عليه بصاعقة أسكتته، وعندما رفع الملك إصبعه ببطء، ارتفع راغازار عن الأرض؛ لقد رفع الملك القزم بضع أقدام في الهواء.

صاح الملك قائلاً: «لقد أديت المهمة التي أردتها منك، ولم أعد بحاجة إليك أو لجنسك». رفع الملك ذراعه وأبعدها عن جسده، عندها، رفعت الكهرباء القزم وألقت به خارج القلعة.

راقبت إلسا برعب راغازار وقد ألقي به خارجاً، وقالت: «أنت... ولكن لماذا؟».

همس الملك: «لا يهدد أحد ابنتي».

لوّح الملك بأصابعه تجاه الحارسين اللذين استدارا في انسجام تام، وغادرا الغرفة، بعد أن قال: «اتركانا أنتما الاثنان». افترضت إلسا أنهما كانا أكثر من متحمسين للقيام بذلك بعد مشاهدة رحلة راغازار غير المتوقعة، وتمنت هي أيضاً أن تغادر معهما.

بدأت إلسا الكلام بحذر: «أنا لست...»، لم تعرف إن كان يجدر بها الاستمرار بالكلام.

اعترف الملك قائلاً: «لا، لست كذلك، ومع ذلك، لقد عاملتك على هذا النحو عندما لم يرغب بك أحد».

صاحت إلسا قائلة: «أنت تكذب. لقد تحدثت إلى والدتي، وأنا أعلم الحقيقة».

استدار الملك بعيداً غارقاً في التفكير وقال: «والدتك؟ ستيفاني؟».

«لقد أبقيتني هنا، لقد كذبت عليّ. عندما أسرتها حرصت على أن تبقيني بعيدة عنها، أنت سبب موت والدي الحقيقي. أكرهك»، أظهرت إلسا حربتها من خلفها، وبرق اللون البنفسجي عندما حطت عليها أشعة الشمس القادمة عبر النافذة المكسورة.

«حسناً، ماذا لدينا هنا؟ هذا مثير للاهتمام. لا شك أن هذا من صنع أوثغار».

هددته إلسا قائلة: «لا تجعلني أستخدم هذا»، ثم اتخذت وضعية قتالية.

«لا تكوني سخيفة، فأنت لا تضاهينني قوة. علاوة على ذلك، أنت في المنزل الآن، لقد عدنا معاً. حان الوقت لأحكم المملكة وأنت إلى جانبي».

صاحت إلسا قائلة: «هذا مستحيل. أنت لست الملك، أوثغار هو الملك الحقيقي، لقد سئمت أكاذيبك، لقد حان وقت إنهاء عهد الرعب».

قال الملك: «كل ما عليكِ فعله هو إحضار صديقك الجديد إلى هنا، إذ يمتلك أوثغار المعرفة التي أحتاج إليها، أحضريه إليّ، وابقي إلى جانبي، وسيتغير العالم الذي تعرفينه إلى الأبد».

رفع الملك ذراعيه في الهواء كما لو أنه يتخيل نفسه رافعاً العالم فوق رأسه.

قالت إلسا وهي تندفع إلى الأمام دافعة حربتها أمامها: «هذا ليس نوع العالم الذي أريد العيش فيه». تنحى الملك جانباً، في الوقت المناسب تماماً لتجنب الهجوم. ضحكت إلسا، وحاولت إصابة الطرف الآخر من الملك، لكنها تجمدت على الفور في مسارها.

ضحك الملك قائلاً: «يا لك من فتاة سخيفة، لماذا تعتقدين أن بإمكانك أذيّتي؟». ثم استخدم كهرباءه لدفعها عبر الغرفة.

صرخ الملك آمراً إياها: «أحضري لي أوثغار الآن».

نادى صوت عبر الباب المفتوح: «أنا هنا».

نظرت إلسا إلى الأعلى وهي مستلقية على الأرض، لكنها لم تستطع أن ترى بوضوح، ومع ذلك، كان ذلك الصوت هو صوت أوثغار.

ابتسمت عندما رأت القزم العجوز وكايا تتبعه مباشرة، فنادت وصوتها بالكاد يُسمع: «أوثغار؟»، وارتجفت عضلاتها.

سأل الملك: «كيف وصلت إلى هنا؟ حسناً، هذا يُسهّل الأمور عليّ».

صاح أوثغار قائلاً: «استسلم، فأنت لا تستطيع الفوز».

ركضت كايا إلى جانب إلسا، وانزلقت على ركبتيها فوراً لمساعدة صديقتها وسألتها: «إلسا، هل أنت بخير؟».

أجابت: «أعتقد ذلك، لقد صدمت قليلاً. اجلبي لأوين

السيف والدرع. اذهبي بسرعة بينما الملك مشتت بقتاله مع أوثغار. سأحاول مساعدته أنا أيضاً».

أومأت كايا برأسها، وانطلقت نحو الدرع ملتقطة بسرعة السيف الذي كان خفيفاً بشكل لا يصدق على الرغم من حجمه الكبير. حملت السيف مع الدرع، ومشت على أطراف أصابعها عبر الغرفة المظلمة في اتجاه أوين. راقبت من زاوية عينها بينما حاول كل من أوثغار وإلسا إصابة الملك، حيث استخدم أوثغار مطرقة بينما لوّحت إلسا بحربتها.

توسلت كايا وهي ترفع رأس أوين: «استيقظ يا أوين. أرجوك استيقظ».

لم يتحرك أوين في البداية، ولكن سرعان ما رفع رأسه. كان في حالة ذهول عميقة، ولا تزال عيناه ضبابيتين أشبه بنهر في صباح صيفي دافئ، ثم سأل وهو يحدق: «كايا؟».

أجابت: «نعم هذه أنا. انتبه لنفسك؛ سأحررك الآن».

دفع أوين نفسه إلى الخلف وأبقى ذراعيه أمامه، بينما قطعت كايا السلاسل بضربة واحدة سريعة من سيفه، فحررت يده الأولى، ثم الثانية.

كانت الحلقتان لا تزالان تحيطان بمعصميه، لكن ذراعيه أصبحتا حرتين الآن، وقد انتابه شعور جيد لقدرته على تحريك ذراعيه كما يشاء.

قال: «شكراً لك».

قالت كايا بإصرار وهي تمسك بسيف أوين ودرعه: «بسرعة،

اذهب وساعد أوثغار وإلسا».

ابتسم أوين وسأل: «قلقت لبعض من الوقت، وخشيت ألا أمسكه مجداً، شكراً لك. كيف وصلت إلى هنا؟».

أجابت: «إنها قصة طويلة، سأخبرك لاحقاً. اذهب وساعد أوثغار وإلسا الآن».

ركض أوين إلى أوثغار، وشعر أن ساقيه ترتعشان، وكان أضعف من المعتاد. همس أوين وهو يراقب الملك: «مرحباً يا صديقي، شكراً على قدومك».

ضحك الشكل المظلل الذي أحاطت به الكهرباء قائلاً: «كم هذا لطيف! أنا سعيد للغاية لأنني شهدت لحظة لمّ الشمل الصغير هذه، لا يمكنكم هزيمتي. استسلموا الآن ولن تتأذوا. واصلوا محاولاتكم البطولية الصغيرة وستموتون جميعاً».

صرخ أوين قائلاً: «مستحيل»، وركض باتجاه الملك.

صاح أوثغار قائلاً: «أوين، لا». لقد فات الأوان؛ لوّح أوين بسيفه في وجه الملك، وعندما هوى به لم يصب سوى الهواء، لأن الملك اختفى، وظهر مجدداً خلفه.

نظر أوين مذهولاً إلى الفراغ أمامه، والتفت أوثغار إلى صوت الكهرباء خلفه مباشرة ليجد أن الأوان قد فات، وارتفع جسده على الفور في الهواء، وسقطت مطرقته على الأرضية الحجرية مصدرة صوتاً قوياً؛ لم يستطع التحرك. ارتعش جسده في ظل الكهرباء التي أحاطت به مثل يد ضخمة.

صرخ أوين قائلاً: «لا، دعه يذهب»، كان بعيداً جداً عنه

ليتمكن من المساعدة.

صاح الملك في الفراغ قائلاً: «مستحيل، لن يعيش ما لم يعترف بي»، بدا صوته شريراً وحاداً أشبه بصرخة مرعبة في الليل.

ابتعدت إلسا عن الطريق عندما ضرب الملك، ولكنها نهضت على الفور، وسرعان ما لوّحت بحربتها، وأصابت رأس الملك، ففقد تركيزه، وأطلق سراح أوثغار.

سقط جسد القزم بقوة على الأرض، فرقد فاقداً وعيه، كان جسده يرتعش بتأثير الكهرباء، وصاح الملك متألماً، ثم تعثر وخطا خطوة إلى الخلف. صرخت إلسا، وأرجحت حربتها مرة أخرى، لكن الملك أوقف هجومها ودفعها بعيداً ممسكاً بالحربة، وقد أومضت الكهرباء. صرخ الملك ولم يبدُ صوته بشرياً: «لقد حذرتك؛ ستعاقبين على خيانتي. أنا سعيد لأنك لست ابنتي»، رج صوته أرجاء الغرفة.

زمّ شفتيه، وسارت الكهرباء ببطء نحو أعلى الحربة، وكانت تشق طريقها إلى الأسفل باتجاه يديها، إلا أنها لم تستطع تركها. راقبت برعب بينما شقّت الشحنات الزرقاء طريقها نحوها؛ كانت كل ثانية مخيفة أكثر من السابقة.

استغل أوين الفرصة لمهاجمة الملك، وركض إلى الأمام حاملاً درعه عالياً، وقد انتبه إليه الملك في اللحظة الأخيرة، لكنه لم يتمكن من الرد في الوقت المناسب. ارتطم الدرع به وهذا ما دفع الملك الشرير إلى الخلف، ولكن ليس قبل أن تحكم الكهرباء قبضتها حول إلسا وتجعلها ترتجف على الأرض.

انزلق الملك على الأرض وصاح في وجه أوين.

رفع كلتا يديه وهو في وضعية الجلوس، وأطلق صاعقة بوجه أوين الذي رفع درعه عالياً، إلا أن الكهرباء اخترقت الدرع تماما كما حصل مع أوثغار. ولدهشة أوين، لم يشعر بأي كهرباء تصيبه. نظر إلى يديه وأدرك أنهما مفصولتان عن المعدن بواسطة الأربطة الجلدية المثبتة كمقابض. على الأقل في الوقت الحالي، كان الرباطان الجلديان بمنزلة حاجز.

انزلقت قدم أوين على الحجر، ودُفع إلى الوراء بضع أقدام، ولكن على الرغم من ذلك بقي صامداً مكانه. صرخ الملك مرة أخرى ولكن بغضب هذه المرة، ما جعل أوين يغمض عينيه خلف درعه، ويتمسك بكل قوته. لقد شعر بالضعف، لكنه عرف أن عليه أن يقاوم.

صاحت كايا قائلة: «اثبت مكانك يا أوين، ذلك يعمل، إن هجومه يرتد عليه بطريقة ما».

أجاب أوين: «أنا أحاول».

جالت كايا بعينيها في أرجاء الغرفة، وشعرت إلسا بالإحباط، ووكان جسدها يرتعش كل بضع ثوان. كان الملك قد أطاح بالقزم العجوز عدة مرات، لكن مطرقته بقيت في متناول اليد، فركضت كايا نحوها والتقطتها؛ كانت أثقل بكثير من سيف أوين.

تحركت وهاجمت الملك الذي كان طريحاً ويُطلق صواعقه على أوين. صاحت كايا عندما أدارت المطرقة الكبيرة نحو الملك.

ارتطمت المطرقة برأسه، فصرخ متألماً وأطلق صواعق قوية باتجاه أوين. مع ذلك، انعكس مسار الصواعق، وعادت لتصيب الملك. صدر صوت مدوٍّ تردد صداه بين الجدران الحجرية، وارتد أوين على ظهره إلى الخلف.

أصبحت الغرفة هادئة بشكل لا يصدق باستثناء الأزيز المنخفض للصواعق الكهربائية التي تجمعت على شكل كرة حتى تلاشت حيث كان الملك يرقد.

همست كايا: «لقد هُزم»، ثم كررت بصوت أعلى: «لقد هُزم»، ثم صرخت: «لقد فعلناها يا أوين».

جلس أوين وأسقط درعه إلى جانبه على الأرض، ثم تذمر وهو يضع يده على رأسه قائلاً: «رأسي يؤلمني».

صاحت كايا بسعادة مرة أخرى وهي تقول: «لقد فعلناها يا أوين».

وقف أوين على قدميه، وحدق بدهشة.

همس أوين: «هذا لا يصدق»، لقد مات الملك بالفعل.

صرخت كايا وقفزت على أوين قائلة: «لقد فعلناها»، ثم عانقته بإحكام.

قال أوين وهو يتألم: «مهلاً»، شعر بالألم في كل أنحاء جسده، فهو غير معتاد على الألم على الرغم من كل المغامرات التي مر بها خلال الفترة الماضية.

ضحكت كايا وقالت: «آسفة، هل تأذيت؟».

تجاهل إصابته غير راغب في إظهار الضعف وقال: «قليلاً،

لكنني سأعيش. لقد مررت بما هو أسوأ». جذبت كايا أوين وقبلته، فتفاجأ من فعلها هذا، ما جعله يتردد في البداية، لكنه في ما بعد استسلم للقبلة.

تذمرت إلسا وهي تنهض ببطء عن الأرض: «هذا أمر مثير للاشمئزاز. ألم يكن بإمكانكما الانتظار حتى يذهب الجميع؟».

صاح أوين قائلاً: «إلسا، يسعدني رؤيتك وأنت تنهضين، عندما رأيتك وأنت تسقطين، اعتقدت أنه ربما...»، لم يرد أن يقول ما كان يفكر به.

أجابت إلسا: «سأعيش». ثم أشارت إلى أوثغار وقالت: «أشعر بالقلق بشأنه».

لم يتحرك القزم من مكانه بعد.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

23

قالت ستيفاني وهي تركض مسرعة نحو ابنها: «أوين، جئت بمجرد أن سمعت الخبر».

«أمي، أنا خائف. لا يبدو أنه جيد».

كانت عينا أوين مثقلتين وحمراوين؛ لقد جلس خارج الغرفة لعدة أيام، بينما راقب الأطباء الأقزام ملكهم.

سألت إلسا: «كيف وصل إلى القلعة؟»، لقد رفضت الابتعاد عن أوين، فبمجرد عودتهما إلى منزل أوثغار، ظلت تجلس بالقرب من شقيقها في حال احتاج إلى شيء.

«هذا غريب جداً يا أمي. أخبرتني كايا عن هذه الفتاة التي كانت تعمل لدى راغازار، فقد ساعدت كايا في الدخول إلى القلعة. لقد علمت كايا أن والدها سيتظاهر بالسعادة لرؤيتها، إذ كان يعلم أنها ستجلب أوثغار وإلسا دون أن يصاب أي منهما بأذى. لقد ساعدت الفتاة كايا، ثم أطلقت سراحها بمجرد أن احتجزهما راغازار، وأقنعت جميع الأقزام الآخرين بإطلاق سراح أوثغار؛ يبدو أنهما لم يدخلا الزنزانة أبداً. لقد علم الأقزام أنه الملك الحقيقي، ولا يجب الإطاحة به أبداً، فساعد الجميع

أوثغار وكايا في الوصول إلى الملك الشرير، حتى شعب الملك وقف إلى جانب أوثغار».

قالت ستيفاني: «ربما سئم الجميع من مشاهدة الأشرار وهم يفعلون أشياء سيئة».

«حسناً، هناك ذاك السيد العجوز الذي يدعى مارفن في قلعة الملك. تحدث إليّ وأنا سجين، وقال شيئاً ما عن حاجة الناس إلى التوقف عن مجرد مشاهدة ما يحدث ومساعدة الأشخاص الطيبين، وربما هذا ما حدث. لم أتخيل أن يتعاون الجميع، لكنهم فعلوا ذلك، والملك لا يستطيع أن يؤذي أحداً بعد الآن»، ابتسم أوين بالرغم من القلق الذي يشعر به.

سألت ستيفاني وهي تشعر بتشتت أوين: «هل قال الأطباء شيئاً عن أوثغار؟».

«ليس كثيراً. لقد قالوا إن شيئاً لم يتغير بعد، وقد لا يستيقظ أبداً»، تركزت عينا أوين على قدميه وقد بدأتا تهتزان بعصبية، ثم قال: «أمي؟»

«نعم».

«ماذا سنفعل إذا لم ينجُ؟».

«لا أعرف يا أوين. دعنا نأمل فقط ألا يكون هذا شيئاً يجب أن نقلق بشأنه».

«إنه أول صديق حقيقي لي على الإطلاق. إنه لم يعد صديقاً وحسب، بل هو من العائلة الآن»، قال هذا وبدأ بالبكاء. لقد كانت المرة الأولى التي يسمح فيها لعواطفه بالسيطرة عليه.

كانت الأيام القليلة الماضية طويلة ومليئة بالقلق، فقد أمضى عدة ليالٍ بلا نوم، لكنه أبعد كل ذلك عنه، ولم يسمح لأي شخص بملاحظة مشاعره.

بعد القتال مع الملك، لم يسمح أوين بإعادة أوثغار إلى قلعته، وبدلاً من ذلك حرص على أن يحظى أوثغار باستراحة في مسكنه داخل الكهف. فمن شأن هذا أن يبقي عدد الزوار عند الحد الأدنى، ويسمح لأوين بالبقاء بالقرب من أوثغار في حال تغير أيُّ شيء في حالته.

«لا بأس يا أوين»، شجعته ستيفاني في الوقت الذي انهمرت فيه دمعة من عينها.

همس أوين: «لا، ليس من المفترض أن يبكي الفارس».

«من قال ذلك؟».

تأخر أوين في الرد.

«ليس هناك عيب في التعبير عن مشاعرك يا أوين، يخفي بعض الناس مشاعرهم طوال حياتهم، ولا يشعرون بالسعادة بسبب ذلك. ففي بعض الأحيان تحتاج إلى تحرير مشاعرك التي تحبسها في داخلك، وهذا سيساعدك في تصفية ذهنك. إذا كنت تريد البكاء، فتفضل، وستشعر بالتحسن لاحقاً. أنت هنا معي، أنت هنا في أمان. أطلق إلى العلن كل ما في داخلك»، أحاطت ستيفاني ابنها بذراعها وشدته إليها.

* * *

مرت الساعات والأيام مع تغيير طفيف في حالة أوثغار.

جاء العديد من الزوار، من البشر والأقزام على حدّ سواء. رحّب أوين وستيفاني بالجميع على الرغم من عدم رغبتهما في التحدث إلى الآخرين. عرف أوين أنه بصفته فارساً فهو ملزم بشرح وضعه والتحدث باسم أوثغار.

أصبحت إلسا وكايا من الأشخاص المقربين الذين يسعد أوين بقضاء بعض الوقت معهم. خلال تلك الفترة، بدت كايا هادئة جداً، وأشعرتها صداقتها بإلسا بالسعادة، وهما غالباً ما كانتا تقضيان الوقت معاً، وكثيراً ما بدتا منفتحتين إحداهما على الأخرى.

يعرف أوين أن لديهما كثيراً من الأشياء المشتركة، خاصة أن حياتهما قد بدأت من جديد.

سأل أوين وهو يجلس بين والدته والفتاتين: «هل أقاطعكما؟».

ضحكت كايا قائلة: «كلا، نحن نتحدث بعض الأحاديث الخاصة بالإناث على ما أعتقد».

ابتسمت إلسا وقالت: «من الغريب جداً أن أعتقد أنني قادرة على فعل ذلك الآن، إنه شعور جيد».

دخل أحد أطباء أوثغار الغرفة وتنحنح: «لدي أخبار»، قال ذلك بصوت عميق وذي صبغة مهنية،

«أوثغار مستيقظ...».

قفز أوين على قدميه بحماسة قائلاً: «حقاً؟ هل يمكننا رؤيته؟».

رفع الطبيب يده في الهواء وقال بحزم: «صحيح أنه استيقظ،

وصحيح أنك ستتمكن من رؤيته لبعض الوقت، لكن يجب ألا يغيب عن بالك أنه ضعيف، ولا أعتقد أنه.... سيتحدث قبل مرور فترة طويلة».

«ماذا تقصد؟»، انقلبت تعابير وجه أوين من الابتهاج إلى الغضب.

«أوين، من فضلك، يجب أن تفهم؛ أوثغار رجل عجوز، وما حدث كان مرهقاً جداً لجسمه. أخشى أن هناك احتمالاً في أن يكون الملك يحتضر».

تعثر أوين، وأمسك بالكرسي ليبقى واقفاً وكأن شجرة سقطت على رأسه.

«كيف هذا؟ هذا غير ممكن»، وهنا بدأ أوين بالبكاء.

«إنه قوي للغاية، ولن يتألم أبداً لفترة طويلة، وسوف يتجاوز هذا الأمر».

قالت ستيفاني مغالبة دموعها: «أوين...».

أمسكت إلسا بكتفي أوين لتعانقه، لكنه أبعدها عنه، وخطا باتجاه الطبيب.

«أرجوك أيها الطبيب، هل هناك شيء آخر يمكنك القيام به؟»، سأل أوين بأمل.

«أنا آسف، يا أوين. نحن نفعل كل ما في وسعنا. ستكون الأيام القليلة المقبلة حاسمة. لم نفقد الأمل بعد، ولكن إذا حان وقت أوثغار، فيجب أن تكون إلى جانبه. إنه يرغب بالتحدث إليك، من فضلك، لا تفرط في إجهاده. سيكون من الأفضل ألا

يجهد وهو يحتضر، فزيادة الضغط على قلبه ستؤلمه».

أومأ أوين برأسه وهو مكسور الخاطر، ثم طأطأ رأسه متوجهاً إلى غرفة أوثغار.

«أوثغار؟»، همس أوين. بدا القزم العجوز شاحباً، وبدا جسده القوي في العادة ضعيفاً كما لو أنه كان خارجاً من معركة، وهذا ما كان صحيحاً نوعاً ما.

تكلم أوثغار بصوت منخفض، وكان من الواضح أنه يجد صعوبة في التكلم: «أوين، من فضلك، اقترب».

قال أوين وهو يمسك بيد أوثغار وشعر كم بدت واهنة: «أنا هنا، كلنا هنا، أمي، إلسا وكايا».

قال أوثغار: «جيد»، وتابع: «هناك ورقة على الطاولة، أخبر كايا أنني أريدها أن تكتب شيئاً من أجلي. أريد منها الكتابة بلغة الأقزام، وكذلك باللغة العربية».

نظر أوين إلى كايا التي أومأت برأسها، وجلست إلى الطاولة، ثم التقطت الريشة، وقد بدت مستعدة للقيام بما أراده أوثغار.

قال أوين: «تفضل».

«أنا الملك أوثغار، من عشيرة حجر الدماء، أود أن أعلن بموجب هذا الكتاب الورثة التالين لحقوقي وللمملكة.

أنا أعين فارسي أوين حامياً للمملكة. هو، وأخته إلسا، والمحاربة الوفية كايا».

ثم أضاف: «يجب أن يكونوا فرسان المملكة، لينهضوا بالتحدي المتمثل في تدريب الآخرين والحفاظ على السلام بين

جميع المقيمين على هذه الأرض من أقزام وبشر».

قالت كايا: «لم يسبق أن كان هناك فارس أنثى، هذا يشرفني، ولكن هل سيكون مقبولاً؟».

«نعم، يجب أن يكون كذلك. لقد حان وقت التغيير. سنجد السلام والوئام فقط إذا تمتع كل فرد منا بالحقوق والواجبات نفسها. طالما يتم التعامل مع مجموعة محددة بشكل مختلف عن الأخرى، فسيظل هناك دائماً ظلم وسوء معاملة. سيتحدث الناس ضد الآخرين من وراء ظهورهم، أريد أن أعرف أن الجميع هنا سواسية. لقد قاتلنا جميعاً من أجل الحرية في هذه الأرض، ويجب أن يتم منحنا جميعاً الحقوق نفسها، على الرغم من مشاكل الماضي».

أجابت كايا: «شكراً لك أوثغر... يا مولاي».

قالت إلسا: «أنت تشرفني... خاصة أنك تعرف ماضيّ، ومن أين أتيت. شكراً لك»، معترفة بدورها الجديد أيضاً.

«ماضيك؟ إن الأشياء التي حصلت لك، والقرارات التي اتخذتها سابقاً، لا تشير إلى حقيقة الشخص الذي أنت عليه، ولا ينبغي أن تستخدم ضدك».

أضاف: «لا يتعلق الأمر بالأخطاء التي ارتكبناها في حياتنا، ولكن كيف نتصرف بمجرد أن ندرك الطريق الصحيح. بالنسبة إلى البعض يستغرق هذا وقتاً أطول مما يحتاجه الآخرون».

سعل أوثغار وقد أتعبه الكلام بعد لحظة، فأغمض عينيه وتنفس بعمق، ثم أومأ إلى كايا لتتابع الكتابة.

«الآن يعاني البشر من فراغ بعد أن فقد الملك الشرير سيطرته. أرى أنه من المناسب تعيين شخص ما يتمتع بالأمانة ولديه القدرة على الحكم إلى جانبي في المملكة. ستيفاني، بموجب هذا الإعلان، أعلن تعيينك ملكة على البشر وشريكتي في حكم الأرض».

بدت ستيفاني مصدومة وقالت: «أنا؟»، غصت وهي تسأل: «لماذا أنا؟».

«نعم لقد اخترتك، لأن أوين هو نتاج تربيتك، كان هو الذي أظهر لي أهمية الوقوف على الأشياء المهمة في هذا العالم والقبول بها. هذا ليس شيئاً يأتي بدون تربية قوية.

أتمنى فقط أن أترك شخصاً مسؤولاً يعمل على تحقيق أمنياتي، حتى لو لم أكن هنا للعمل معك.

يريد البشر والأقزام أن يعيشا معاً، لا يهم من أين أتينا، بل ما يهم فقط مكان وجودنا، هنا والآن»، توقف أوثغار مجدداً عن الحديث بسبب السعال.

أكمل حديثه: «سيتم دعم هذه التغييرات حتى نهاية الزمن. وسيحتفل البشر والأقزام بثقافة جديدة معاً؛ ثقافة المساواة والاحتفاء بنقاط القوة لدى بعضنا البعض، والعمل على تحسين نقاط ضعفنا معاً».

ثم بدأ أوثغار بالحديث بلغة الأقزام، وأخذت كايا تومئ برأسها، وتنسخ كلامه على الورقة لتنهي مطالب الملك.

وبمجرد الانتهاء، قبلت ستيفاني بدورها الجديد.

قالت: «سأفعل كل ما في وسعي لتنفيذ الوصايا. شكراً لك يا أوثغار، لكنك ستنجو. أنت قوي وعنيد لدرجة أنك لن تسمح لي بفعل كل هذا بمفردي».

ابتسمت ستيفاني على الرغم من أن دمعة انهمرت على خدها.

قال أوثغار: «الآن، من فضلك، إذا سمحتِ لي ببضع دقائق مع أوين، أود التحدث إليه على انفراد».

أومأت الإناث الثلاث برؤوسهن، وغادرن الغرفة بهدوء.

شعر أوين أنه يمر بتجربة غريبة للغاية. لم يستطع تصديق أن هذا كان يحدث. فقد بدأت صداقتهما بشكل صعب، وأخذت بعض الوقت لتنمو وتسمح لهما الشعور بالارتياح لبعضهما بعضاً.

الآن، وفي هذه اللحظة، شكلت هذه العلاقة دائرة كاملة؛ ها هما معاً مرة أخرى، لكن هذه المرة، كانت المحادثة غير مريحة لسبب مختلف.

«أوثغار، أنا لا...». كسر أوين الصمت.

سعل أوثغار مجدداً، فقاطع أوين ورفع يده لإيقاف حديثه.

قال: «من فضلك، أنا بحاجة إلى الراحة. اسمح لي أن أقول ما يدور في خاطري قبل أن أنام».

بكى أوين، لكنه أومأ برأسه لأنه فهم.

«أريد أن أشكرك. لقد أمضيت سنوات عديدة هنا، في هذا

المنـزل وحـدي. لـم أرغـب في مشـاركته مع أي شـخص حتى دخلت أنت في حياتي. الآن، إذا كانت هذه هي لحظاتي الأخيرة، فأنا أريدك بجانبي. لم أعد أسـتطيع تحمل الشـعور بالوحدة بعد الآن. عائلتـي ضاعـت منـذ سـنوات، وأنا أشـكركم على كونكم عائلتـي الآن. أنـا لا أُفكـر فيـك كفارس فقط، ولكـن أيضاً كابن لي»، ابتسم أوثغار.

قال أوين: «شكراً لك يا أوثغار، لكنك ستتخطى هذا الأمر»، وأخذ يبكي.

«اعلم أن وجودك إلى جانبي، جعلني أبدو قزماً سعيداً».

ضحك أوين: «هذا جيد لأنك كنت غاضباً جداً عندما التقيت بك للمرة الأولى».

حـاول أوثغـار الضحـك لكنه بدأ يسـعل، ثم قال «أسـدِ لي خدمة».

قال أوين: «قل لي ماذا تريد».

«أشعر بالضعف، لكنني أرغب بشدة في إحضار سيفك إلى هنا ووضعه إلى جانبي على الطاولة».

أجاب أوين: «بالطبع يا أوثغار، ولكن لماذا السيف؟».

ابتسـم أوثغار لأوين، والتزم الصمت بسـبب تعبه الواضح، وأخيراً قال: «من فضلك، أنا بحاجة إلى الراحة. فقط ضعه بجانبي ودعني أنام».

قال أوين وهو يمسح عينيه: «بالتأكيد».

بعد ذلك، ركض أوين إلى الورشة، وأخرج السيف الأزرق

اللامع من غمده وركض بحذر عائداً إلى غرفة نوم أوثغار وهو يحمل السلاح.

عندما عاد أوين، كان أوثغار قد نام، لذلك تقدم على أطراف أصابعه داخل الغرفة، ووضع السيف برفق إلى جانب رأس أوثغار على الطاولة كما أمر.

جلس أوين إلى جانب أوثغار لدقائق، وهو يستمع إلى أنفاس القزم العجوز وهو نائم.

تذكر أوين أول لقاء بينهما، وكيف كان خائفاً من المخلوق الذي طارده في مشغل السيوف، وهو المخلوق نفسه الذي ركض إليه بعد ذلك طلباً للمساعدة عندما هاجم كالوريث القرية وأحرقها؛ القزم الذي علمه كان ملكاً ورسمه فارساً، وجعل أوين يؤمن بقيمة نفسه.

شعر أوين بالتعب، لكن عندما شاهد صديقه نائماً، شعر بالسعادة أيضاً. كان أوثغار يرقد في سلام. لقد لم شمله مع أخته، وأوجد حياة جديدة للجميع.

سوف يستمر إرث الملك أوثغار إلى الأبد. انحنى أوين ووضع رأسه على ذراع أوثغار، واستمع إلى صوت صديقه وهو يتنفس.

24

استيقظ أوين وهو يتثاءب، ورفض مغادرة مكانه إلى جانب أوثغار طوال الليل رغم أن الطبيب أشار إلى أنه من الأفضل لأوثغار أن يترك دون إزعاج.

احتج أوين قائلاً: «لا، إنه يحتاجني إلى جانبه».

ثم أضاف: «علاوة على ذلك، إذا كنت هنا، فيمكنني التأكد من أن لا شيء يضايقه».

تنهد الطبيب قائلاً: «حسناً»، مستسلماً وهو يعلم جيداً أن لا شيء سيقنع أوين بالمغادرة.

«سأكون هنا مرة أخرى للاطمئنان عليه في الصباح».

نام أوين على الكرسي بجانب أوثغار. لم يكن المكان الأكثر راحة للنوم، لكن الراحة كانت آخر شيء يشغل باله.

في الوقت الذي فرك فيه أوين عينيه، وقف ونظر إلى أوثغار. ورأى أن لون بشرته أفضل من الليلة السابقة.

فقد استعاد خداه بعضاً من لونهما.

هرع أوين إلى الباب وركض للبحث عن الطبيب.

لحسن الحظ، كان قد وصل بالفعل، وكان يبحث في حقيبته

عن الأدوات الطبية عندما وصل إليه أوين في المطبخ.

صرخ أوين قائلاً: «أوه، جيد، أنت هنا، تعالَ بسرعة، أعتقد أنه أفضل حالاً».

قال الطبيب مبدياً انزعاجه بشكل واضح: «اهدأ يا بني، إمكانية التحسن بين ليلة وضحاها بعيدة الاحتمال. علاوة على ذلك، أنت لست الطبيب هنا، بل أنا «.

«تعال، تعال»، أمسك أوين بذراع الطبيب، وسحبه نحو غرفة نوم أوثغار.

«اسمح لي بالذهاب يا أوين، سأصل إلى هناك بعد قليل. لا تستعجلني».

تجاهل أوين كلام الطبيب، وسحبه إلى الغرفة.

لدهشتهما، كانت عينا أوثغار مفتوحتين على آخرهما.

«أنت مستيقظ»، صاح أوين بفرح، «كيف تشعر؟».

«حسناً، لقد أجفلتني عندما خرجت من الغرفة، واستيقظت على وقع خطواتك».

«كنت أعلم أنها فكرة سيئة أن أسمح لك بقضاء الليلة هنا. الملك يحتاج إلى الراحة وأنت...».

«استرخ أيها الطبيب، أنا سعيد لأنه كان معي هنا، فأنا أشعر بتحسن. لست بحال رائعة، لكنني بحال أفضل بكثير من ليلة الأمس».

«سعيد لسماع ذلك يا سيدي. أنا حقاً لا أعرف ماذا أقول»، قال الطبيب معترفاً بالتحسن الملحوظ الظاهر على أوثغار.

«هذا... لا معنى له... من وجهة نظر طبية. يجب ألا تكون قادراً على الجلوس. اسمح لي بأن أعاينك».

ابتسم أوثغار وقال: «بالطبع. أوين، لماذا لا تتناول وجبة الفطور وتترك الطبيب يقوم بعمله؟».

ورغم أنه لا يزال متوتراً، لكن أوثغار كان أكثر نشاطاً مما بدا عليه في اليوم السابق.

أجابه أوين: «بالتأكيد، سأكون في الجوار إذا احتجت إلي». تناول أوين الشوفان بنهم، متحمساً للعودة كي يطمئن على أوثغار. أدرك أنه كان من الأفضل الانتظار حتى ينتهي الطبيب، فأكل ببطء وسمح لنفسه بالاستمتاع بوجبة الفطور. وعندما أدرك مدى جوعه، وضع لنفسه طبقاً آخر قبل أن ينتهي الطبيب.

في النهاية، خرج الطبيب من غرفة النوم، فلمس في وجهه نظرة حيرة.

«حسناً، ماذا تعتقد؟ هل كنت على حق؟ هل هو بحال أفضل؟».

نظر الطبيب إلى الأعلى غير منتبه أن أوين ما زال يتسكع في الجوار، وقال: «نعم، لقد تحسن كثيراً».

بكى أوين وسأل بحماسة: «كنت أعرف. هل سينجح بذلك؟ هل سيكون بخير؟».

«لو لم أشاهد ذلك بأم عيني، لكنت سأعتقد أنها مزحة سمجة. لم أرَ مثل هذا التحسن في حياتي من قبل»، أجاب الطبيب وهو يصرح بأفكاره بصوت عالٍ أكثر من كونه يعطي

إجابة عن أسئلة أوين مباشرة.

كرر أوين: «حسناً، سوف ينجح في اجتياز هذا».

«نعم، أعتقد أن الأمر كان معجزة. لا يزال بحاجة إلى وقت للراحة والتعافي، لكن الملك سيكون بخير».

صرخ أوين قائلاً: «شكراً لك أيها الطبيب»، ولقد اندهش الطبيب عندما قفز أوين وعانقه.

«نعم، حسناً»، قال الطبيب غير مرتاح، وهو يربت برفق على كتف أوين رداً على ذلك.

«عد للداخل وانظر إليه. ولكن لا تزعجه كثيراً. سيحتاج إلى وقت للتعافي».

«شكراً»، قال أوين مرة أخرى وركض إلى غرفة أوثغار.

عندما اقتحم الباب، لاحظ أوين أن أوثغار كان يحمل سيف أوين في يديه، وهو ينظر من خلف النصل.

قال أوين عندما دخل الغرفة: «مرحباً، لدي أخبار رائعة، قال الطبيب...»، ثم بدا أوين في حيرة. كان أوثغار جالساً ممسكاً بالسيف بين يديه وهو يتفحص النصل.

«إذن، آه... لماذا أردت السيف الليلة الماضية؟ هل تعتقد أنني كنت سأحتاجه لأمنع شخصاً ما من مقاطعة نومك؟»، قال أوين مازحاً.

أجاب أوثغار بنظرة جادة: «أوين، يا ولدي. أعتقد أن الوقت قد حان لتعرف سر حجر اللازورد».

غريب في الظل

بعد أن انتصر أوين على التنين كالوريث في الجزء الأول من هذه الثلاثية، نتعرف في هذا الجزء إلى كايا ابنة راغازار وهي المحاربة القزمة التي كُلّفت بتدريب الفارس الأزرق. وكذلك نشهد ظهور إلسا والصراع الذي يرافق ظهورها. هل صحيح أن إلسا شقيقة أوين؟ وإن كان ذلك صحيحاً، فمن هو والدهما؟ كذلك سنرى خائناً، والذي سيفسد ظهوره الانتصار، وسنرى النتائج التي ستترتب على ذلك. كذلك سنرى أبطالاً سيظهرون من بين الظلال، ويغيرون مجرى الأحداث. ولكن لصالح من سيكون ظهورهم؟

ولد **ريموند ماكغريغور** في سودبيري، أونتاريو، حبه للأدب جعله يدرسه، ويتخصص فيه، ويحصل على إجازة بالأدب الإنكليزي مع مرتبة الشرف، بالإضافة إلى عمله في مجال الكتابة يعمل ريموند مدرّساً ثانوياً أما في أوقات فراغه فيستمتع بالصيد، وعزف الموسيقى، والرسم، والمطالعة.

صدر من هذه السلسلة:

ISBN: 978-614-01-3454-6
9 786140 134546

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com - www.nwf.com

t.me/book4kid